



رسالة ابن القارح إلى أبي العلاء المعري

(إلى القارئ مخطوطاً من أندر المخطوطات ظفروا به في خزانة كتب أستاذنا الشيخ طاهر الجزائري كتبه أبو حسن علي بن منصور الحنفي المعروف بالقارح إلى أبي العلاء المعري فأجاب عنها هذا في رسالة خاصة سماها رسالة الغفران طبعت بمصر سنة ١٣٢١-١٩٠٣ في مطبعة هندية. أما ابن القارح وكان ينتقب بدوخنة فكان شيخاً من هل الأدب رواية للأخبار حافظاً لقطعة كبيرة من النغمة والأشعار قووماً بالنحو وكان ممن خدم أبا عني فارس في داره وهو صبي ثم لازمه وقرأ عليه وكانت معيشته العليم بالشام ومصر. قال ابن عبد الرحيم وشعره يجري مجرى شعر المعنيين قليل الحلاوة خال من الطلاوة وكان آخر عهدي به بتكريت سنة إحدى وعشرين وأربعمائة فإننا كنا مقينين بها واجتاز بنا وأقام عندنا مدة ثم توجه إلى الموصل فبئني وفاته من بعد وكان يذكر أن مولده بحلب سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة. قال ياقوت وعني بن منصور هذا يعرف بابن

القارح وهو الذي كتب إلى أبي العلاء المعري الرسالة المعروفة برسالة ابن القارح فأجابه
أبو العلاء برسالة الغفران وذكر اسمه فيها.

بسم الله الرحمن الرحيم.

استفتحاً باسمه واستتاجاً ببركته والحمد لله المجدي بالنعم المفرد بالقدم الذي جل عن
شبه المخلوقين وصفات الخدثين وفي الحسنات المبرأ من السيئات العادل في أفعاله الصادق
في أقواله خالق الخلق ومبدئه ومبقيه ما شاء ومفنيه وصلواته على محمد وأبرار مئوته
وأهليه صنوة ترضيه وتقربه وتدينه وتزنفه وتخطيه كتابي أطال الله بقائي مولاي الشيخ
الجنيل ومد مدته وأدام كفايته وسعادته وجعني فداءه وقدمني قبله على الصحة والحقيقة
وبعد القصد والعقيدة وليس على مجاز النقط ومجرى الكتابة ولا على نقص وخلاصة
وتجب ومسامحة كما قال بعضهم وقد عاد صديقاً له كيف تجلدك جعني الله فداك وهو
يقصد تحبباً ويريد تمثلاً ويظن أنه قد أسدى جيلاً يشكره صاحبه أن ينهض واستقل
ويكافئه عليه إن آفاق وأيل عن سلامة تمامها بحضور حضرته وعافية نظامها بالشرف
بشريف عزته وميمون نقيته وطلعه ويسلم الله التكرم تقدمت أسماؤه إلي لو حنت إليه
أدام الله تأييده حين أواله إلى وكرها وذات الفرخ إلى وكرها والحمامة إلى إلفها أو
الغزالة إلى خشفها لكان ذلك مما تغيره النياي والأيام والعصور والأعوام لكنه حين
الظمان إلى الماء والخائف إلى الأمن والسليم إلى السلامة والغريق إلى النجاة والقلق إلى
السكون بل حين نفسه النفيسة إلى الحمد والمجد فإني رأيت نزاعها إليها نزاع
الاستقسات إلى عناصرها والأركان إلى جواهرها فإن وهب الله لي ملاء من العمر يؤنسي
برؤيته ويعلقني بحبل مودته مروت كساري الليل ألقى عصاه وأحمد مسراه وقر عيناً ونعم

بالأركان من لم يحسه سوء ولم يتخوفه عدو ولا هكته رواح ولا غدو وعسى الله أن يمن
 بذلك بيومه أو بثانيه وبه الثقة وأنا أسأل الله عني التداوي والنوى والبعاد إمتاعه بالفصل
 الذي استعنى عني عاتقه وغاربه واستولى عني مشاركته ومغاربه فمن مر عني بحره الهياج
 ونظر في لآلء بدره الوهاج خليق بأن يكون قلبه بأنامله وينبو طبعه عن رسائله إلى أن
 ينقي إليه بالمقاليد أو يستهويه إقنيداً من الأقاليد فيكون منسوباً إليه ومحسوباً عليه ونازلاً
 في شعبه وأحد أصحابه وحزبه وشرارة تياره وقراضة ديناره وسمك بحره وتمد غمره
 وهيهات ضاق فتر عن مسير ليس التكحل في العينين كالكحل خلّقوا أسخياء لا
 متساخين وليس السخي من يتساخى ولا سيما وأخلاق النفس تنزّمها لزوم الألوان
 للأبدان لا يقدر الأبيض عني السواد ولا الأسود عني البياض ولا الشجاع عني الجبن
 ولا الجبان عني الشجاعة قال أبو بكر العزرمي:

يفر جبان القوم عن أم رأسه ... ويحني شجاع القوم من لا يناسبه

ويرزق معروف الجواد عدوه ... ويحرم معروف البخيل أقرابه

ومن لا يكف الجهل عن يوده ... فسوف يكف الجهل عن يوائبه

ومن أين لنضباب صوب المحاب ولنغراب هدى العقاب وكيف وقد أصبح ذكره في
 مواسم الذكر أذاناً وعلى معالم الشكر لساناً فمن دافع العيان وكابر الأنس والجنان
 واستبد بالأفك والبهتان كان كمن صالب بوقاحته الحجر وحاسن بقباحته القمر وهذي
 هذر وتعاطى فعقر وكان كمنحوم بنسم فعقر ونادى عني نفسه بالنقص في البدو
 والحضر وكان كمن قال من يعنيه ولا يشك فيه:

كناطح صخرة يوماً ليفلقها ... فتم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزاده شرفاً لديه قال لعن الله ذا الوجهين لعن الله ذا النسيان لعن الله كل شقار لعن الله كل قتات. وردت حلب ظاهرة حماها الله تعالى وحرسها بعد أن منيت بربضها بالدرحمين وأم حبركري والفتكرين بل رमित بأبدة الأباد والداهية الناد فلما دخلتها وبعد لم تستقر بي الجار وقد نكرتها لفقدان معرفة وأنشدتها باكية:

إذا زرت أرضاً بعد طول اجتنابها ... فقدت حبيباً والبلاد كما هي

كان أبو القطران المرار بن سعيد الفقعي يهوى ابنه عمه بنجد واسمها وحشية فهتدها رجل شامي إلى بلنـده فغمه بعدها وساءه فراقها فقال من قصيدة:

إذا تركت وحشية النجد لم يكن ... لعني مما تبكيان طيبا

رأى نظرة منها فلم يملك البكا ... معاوز يربو تحنهن كتيب

وكانت رياح الشام تكره مرة ... فقد جعلت تلك الرياح تطيب

فحصلت من الرياح على الرياح كما حصل لابن قطران من حشية ثم وثم وثم وثم أجري ذكره أدام الله تأييده من غير سب جره وغير مقتض اقتضاه فقال الشيخ بالنحو أعظم من ميويه وباللغة والعروضن الخليل فقلت والجنس بأزز بلغني أنه أدام الله تأييده يصغر كبيره ويترر صغيره فيصير تصغيره تكبيراً وتحقيره تكثيراً وهكذا شاهدت ما شاهدت من العلماء رحمهم الله أجمعين وجعله وارث أطول أعنارهم وأمدتها وأنصرها وأرغدها وما ثم له حلجة دعت إلى هذا قد تفتح النور وتوضح النور وإرضاء الصبح لدى عينيـن أبو الفرج الزهرجي كاتب حضرة نصر الدولة أدام الله حراسته كتب رسالة إلى أعطانيها ورسالة إليه أدام الله تأييده اسعدعنيها وسألني إيصالها إلى جليل حضرته وأكون نافعتها لا

باعثها ومعجلها لا مؤجلها فسرق عديلي رحلاً لي الرسالة فيه فكتب هذه الرسالة أشكو
 أموري وأبث شقوري وأطلعه طلع عجري وبجري وما لقيت في سفري من أقيام يدعون
 العلم والأدب والأدب أدب النفس لا أدب الدرس وهم إصغار منها جميعاً ولم
 تصحيات كنت إذا رددتها عليهم نسبوا التصحيف إلي وصاروا إلماً علي لقيت أبا الفرج
 الزهرجي بآمد ومعه خزانة كتبه فعرضها علي فقلت كتبك هذه يهودية قد برئت من
 الشريعة الحنيفية فأظهر من ذلك إعظماً وإنكاراً فقلت له أنت على الحرب ومثلي لا
 يهرف ما لا يعرف وأبغ تيقن فقرأ هو وولده وقال صغر الخير الخير وكتب إلي رسالة
 يقرظني فيها بطبع له كريم وخلق غير ذميم قال المستبي: لأذم إلى هذا الزمان أهليه صغرهم
 تصغير تحقير غير تكبير وتقليل غير تكثير ففت مصدرراً وأظهر ضميراً مستوراً وهو
 سائح في مجال الشعر وقائله غير ممنوع من النظم والنثر ولكنه وضعه غير موضعه وخاطب
 به غير متحقه وما يستحق زمان ساعده ببقاء سيف الجولة أن يطلق على أهله الدم
 وكيف وهو القاتل يخاطبه:

أسير إلى أقطاع في ثيابه ... على طرفه من داره بحسامه

وقد كان من حقه أن يجعنهم في خفارتهم إذا كانوا منسوبين إليه ومحسوبين عليه ولا يجب
 أن يشكو عاقلاً ناطقاً إلى غير ناطق إذ لزمات حركات الفنك إلا أن يكون ممن يعتقد أن
 الأفلاك تعقل وتعلم وتفهم وتدرى عوالمها بقصود واردة ويحمسه هذا الاعتقاد
 على أن يقرب لها القوابين ويدخن الدخن فيكون مناقضاً لقوله:

فتباً لدين عبيد النجو ... م ومن يدعي أنها تعقل

أو أن يكون كما قال الله تعالى في كتابه الكريم مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ويوشك أن تكون هذه صفته.

حكى القطريلي وابن أبي الأزرهر في تاريخ اجتماع عليّ تصنيفه وأهل بغداد وأهل مصر يزعمون أنه لم يصنف في معناه مثله لصغر حجمه وكبر علمه يحكيان فيه أن المتنبّي أخرج ببغداد من الحيس إلى مجنس أبي الحسن علي بن عيسى الوزير رحمه الله فقال له: أنت أحمد المتنبّي فقال أنا أحمد المتنبّي وكشف عن بطنه فأراه سبعة فيه وقال هذا طابع نبوي وعلامة رسالي فأمر بقتلهم وصفعه به خمسين وأعادته إلى محبسه ويقول لسيف الدولة:

وتفضون عليّ من نال رفقكم ... حتى يعاقبه التفتيص والمنن

كذب والله لقد كان يتعرّش بالمكارم ويتحكك بها ويحسد عليها أن تكون إلا منه وبه وهذا غير قادح في طلاوة شعره ورونق ديباجته ولكني أغتاط عليّ الزنادقة والملحدون الذين يتلاعبون بالدين ويرومون إدخال الشبه والشكوك عليّ المسلمين ويستعذبون القدح في نبوة النبي صلوات الله عليهم أجمعين ويتطرفون ويتدنّون إعجاباً بذلك المذهب تيه مغر وظرف زنديق. وقتل المهدي بشاراً عليّ الزندقة ولما شهر بها وخاف دافع عن نفسه بقوله:

يا ابن هيا رأسي عليّ ثقل ... واحتمال الرأسين عبء ثقل

فادعوا غيري إلى عبادة ربي ... ن فإني بواحد مشغول

وأحضر ثأخ بن القدوس وأحضر النطع والسياف فقال علام تقتلني قال عليّ قولك:

رب سر كتمته فكأنني ... أخرس أو ثني لسان عقل

ولو إني أظهرت للناس ديني ... لم يكن لي في غير حسي أكل

يا عدي الله وعدي نفسه:

الستر دون الفاحشات ولا ... ينقذك دون الخير من ستر
فقال قد كنت زنديقاً وقد تبت عن الزندقة قال كيف وأنت القاتل:
والشيخ لا يترك عاداته ... حتى يوارى في ثرى رمسه
إذا أروعى عاد إلى غيه ... كذي الضنى عاد إلى نكسه

وأخذ غفلته السيف فإذا رأسه يتدهداً على النطع. ظهر في أيامه في بند خنف بخارا
وراء النهر رجل قصار أعور عنل له وجهاً من ذهب وخطب برب العزة وعمل لهم
قسراً فوق جبل ارتفاعه فراخ فأنفذ المهدي إليه فأحيط به وبقلعته فحرق كل شيء فيها
وجمع كل من في البلد وسقاهم شرباً مسوماً فماتوا بأجمعهم وشرب فلحق بهم فعجل
الله بروحه إلى النار. والصناديقي في اليمن فكانت جيوشه بالمديخرة وسفهنه وخطب
بالربوبية وكوتب بها فكانت له دار أفاضة يجمع إليها نساء البلدة كنها ويدخل الرجال
عليهن ليلاً قال من يوثق بخبره دخنت إليها لأنظر فسمعت امرأة تقول يا بني لقال: يا أمه
نريد أن نمضي أمر ولي الله فينا وكان يقول: إذا فعلتم هذا لم يتميز مال من مال ولا ولد
من ولد فتكونون كنفس واحدة فغراه الحسني من صنعاء فهزمه وتحصن منه في حصن
هناك فأنفذ إليه الحسني طياً بمضغ مسوم ففصده به فقتله. والوليد بن يزيد أقام في
الملك سنة وشهرين وأياماً وهو القاتل:

إذا مت يا أم الحيكل فانكحي ... ولا تأمني بعد الفراق تلاقيا

فإن الذي حدثه من لقائنا ... أحاديث طسم تترك العقل واهيا

ورمى المصحف بالنشاب وخرقه وقال:

إذا ما جئت ربك يوم حشر ... فقل يا رب خزقني الوليد
 وأنفذ إلى مكة بناءً مجوسياً ليبي لي عني الكعبة مشربة فمات قبل تمام ذلك فكان
 الحجاج يقولون: لبيك اللهم لبيك لبيك يا قاتل الوليد بن يزيد لبيك وأحضر بناجحة من
 الذهب وفيها جوهرة جنيته القدر وصورة رجل فسجد له وقبضه وقال اسجد يا علي
 قلت ومن هذا قال هذا ما في شأنه كان عظيماً اضحل أمره لطول المدة فقلت لا يجوز
 المجدود إلا لله فقال قم عنا وكان يشرب على سطح وبين يديه باطية كبيرة بنور وفيها
 أقذاح فقال لندماء أين القصر النينة فقال بعضهم: في الباطية فقال: صدقت أتيت على
 ما في نفسي والله لأشربن المفتحة يعني شرب سبعة أسابيع متتابة وكان بموضع حول
 دمشق يقال له البحر ا فقال:

تلعب بالنبوة هاشمي ... بلا وحي أتاه ولا كتاب

فقتل بها ورأيت رأسه في الباطية التي أراد أن يهتج بها وأبو عيسى بن الرشيد القاتل:
 دهاني شهر الصوم لا كان من شهر ... ولا صنت شهراً بعده آخر الدهر
 ولو كان يعديني الإمام بقدرة ... عني الشهر لاستعدت دهري عني الشهر
 عرض له في وقته صرع فمات ولم يدرك شهراً غيره والحمد لله. والجنابي قتل بمكة ألوفاً
 وأخذ ستة وعشرين ألف جمل خفاً وضرب آلاهم وأثقالهم بالنار واستملك من الغنم
 والنساء والصبيان من ضاق بهم الفضاء كثرة ووفوراً وأخذ حجر المنزوم وظن أنها
 مغناطيس القنوب وأخذ الميزاب قال: وسمعت قاتلاً يقول لغلام دحسبان طوال إنما في
 برديه وهو فوق الكعبة يا رحمة اقلعه وأسرع يعني ميزاب الكعبة فعلت أن أصحاب
 الحديث صحفوه فقالوا يقنعه غلام اسمه رحمة كنما صحفوا عني علي رضي الله عنه قوله

هتكت البصرة بالريح فهتكت بالزنج لأنه قتل عنوي البصرة في موضع بها يقال له العقيق أربعة وعشرين ألفاً عدوهم بالقصب وحرقوا جامعها وقال في خطبته مخاطب الزنج لكم قد اعتم بقبح منظر فاضفوه بقبح مخبر اجعلوا كل عامر قفراً وكل بيت قيراً. قال لي بدمشق أبو الحسين اليزيدي الوزيري علي نسب جدي دخل وإياه ادعى قال. أبو عبد الله محمد بن علي بن رزام الطائي الكوفي: كنت بمكة وسيف الجنابي قد أخذ الحاج ورأيت رجلاً منهم قد قتل جماعة وهو يقول يا كلاب أليس قال لكم محمد المكي ومن دخله كان آمناً أي آمن هنا فقلت له يا فتى العرب تؤمني سيفك أفسر لك هذا قال: نعم فقلت: فيها خمسة أجوية الأول من دخله كان آمناً من عذابي يوم القيامة والثاني من فرض الذي فرضت عليه والثالث خرج مخرج الخبر وهو يريد الأمر كقوله والمطلقات يتربصن بأنفسهن والرابع لا يقام عليه الحد فيه إذا حتى في الحل والخامس من الله عليهم بقوله إنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم فقال صدقت هذه النحية إلى التوبة؟ فقلت: نعم فخلاي وذهب.

والحسين بن منصور الحلاج من نيسابور وقيل من مرو ويدعي كل علم وكان متهوراً جسوراً يروم إقلاب الدول ويدعي فيه أصحابه الإلهية ويقول بالحنول ويظهر مذاهب الشيعة للسنوك ومذاهب الصوفية للنعام وفي تصاعيف ذلك يدعي أن الإلهية قد حلت فيه وناظره عيسى الوزير فوجده صفراً من العنوم وقال تعنتك لظهورك وفرضك أجدى عينك من رسائل أنت لا تدري ما تقول فيها كم تكتب إلى الناس تبارك ذو الغور الشعشعاني الذي ينزع بعد شعشعته ما أحوجك إلى أدب حدثني أبو عني الفارسي قال

رأيت الحلاج واقفاً على حلقة أبي بكر الشبلي أنت بالله ستفسد خشبة فنفض كفه في وجهه وأنشد:

يا سرسر يدق حتى ... يجل عن وصف كل حي
وظاهراً باطناً تبدي ... من كل شيء لكل شيء
يا جنة الكل لست غيري ... فما اعتذاري إذاً إلي

وهو يعتقد أن العارف بن الله بمنزلة شعاع الشمس منها بدا وإليها يعود ومنها يستمد ضوؤه أنشدني الظاهر لنفسه:

أرى جيل التصوف شر جيل ... فقل لهم واهون بالحلول
أقال الله حين عشقتهم ... كنوا أكل البهائم وارقصوا لي

وحرك يوماً يده فانثر على قول مسك وحرك مرة أخرى فانثر دراهم فقال له بعض من حضر من يفهم أرنى دراهم معروفة أو من بك وخلق معي أن أعطيتني درهماً عليه اسمك واسم أبيك فقال وكيف هذا وهذا لا يصنع قال من أحضر ما ليس بحاضر صنع ما ليس بمصنوع وكان في كفه أبي مفرق قوم نوح ومهلك قوم عاد وثمود فلما شاع أمره وعرف السلطان خبره على صحته وقع بضربه ألف سوط وقطع يديه ثم أحرقه بالنار في آخر سنة تسع وثلاثمائة وقال لحامد ابن العباس: أنا أهلكك فقال حامد: الآن صح أنك تدعي ما قرفت به. وابن أبي العذافر أبو جعفر محمد بن علي الشلمغان أهله من قرية من قرى واسط تعرف بشلمغان وصورته صورة الحلاج ويدعي عنه قوم أنه إله وأن الله حل في آدم ثم في شيث ثم في واحدٍ واحد من الأنبياء والأوصياء والأئمة حتى حل في الحسن بن علي العسكري وأنه حل فيه وكان قد استغوى جماعة منهم ابن أبي عون صاحب كتاب

التشبيه ومعه ضربت عنقه وكانوا ييحبونه حرمهم وأولادهم يتحكم فيهم وكان يتعاطى الكيمياء وله كتب معروفة.

وكان أحمد بن يحيى الراوندي من أهل مرو الروز حسن المستر جميل المذهب ثم انسحق عن ذلك كله بأسباب عرضت له ولأن عليه كان أكثر من عقده وكان مثله كما قال الشاعر:

ومن يطبق مرداً عند صبوته ... ومن يقوم لمستور إذا خنعاً

عصف كتاب التاج محتج فيه لقدم العالم فنقضه أبو الحسين الحياط.

الزمرد محتج فيه لإبطال الرسالة فنقضه الحياط.

نعت الحكمة مفع الله تعالى في تكليف خلقه أمره. نقضه الحياط.

الدامغ يطعن فيه على نظم القرآن.

القضيبي يثبت أن علم الله محدث وأنه كان غير عالم حتى خلق لنفسه علماً فنقضه الحياط.

الفريد في الطعن على النبي عليه الصلوة والسلام.

المرجان في اختلاف أهل الإسلام.

عني بن العباس بن جريج الرومي قال أبو عثمان الناجم دخلت عليه في عتته التي مات فيها وعند رأسه جام فيه ماء مشنوج وخنجر مجرد ولو ضرب به صدر خرج من ظهر فقلت: ما هذا قال: الماء ابل به حلقي فقلنا يموت إنسان إلا وهو عطشان والخنجر إن زاد عني الألم نحررت نفسي ثم قال: أقص عينك قصتي تستدل بها على حقيقة تنفي أردت الانتقال من الكرخ إلى باب البصرة فشاورت صديقاً أبا الفضل وهو مشتق من الأفضال

فقال إذا جئت القنطرة فخذ عني عيذك وهو مشتق من اليمن واذهب إلى سكة النعيمة وهو مشتق من النعيم فاسكن دار ابن المعافي وهو مشتق من العافية فخالفته لتعي ونحسي فشاورت صديقنا جعفرأ وهو مشتق من الجوع والفرار فقال: إذا جئت القنطرة فخذ عني شمالك وهو مشتق من الشؤم واسكن دار ابن قلابة وهي هذه لا جرم قد انقبت بي الدنيا وأضر ما علي العصافير في هذه السدرة تصبح سيق سيق فها أنا في السياق ثم أنشدني:

أبا عثمان أنت قريع قومك ... وجودك للعشيرة دون لومك

تتبع من أخيك ما أراه ... يراك ولا تراه بعد يومك

وأخ به البول فقلت له البول ملح بك فقال:

غداً ينقطع البول ... ويأتي البول والعول

إلا أن لقاء الله ... هو دونه الهول

ومات من الغد فأرجو أن يكون هذا القول توبة له مما كان اعتقده من ذنبه لنفسه والرسول عليه الصلوة والسلام يقول من وجأ فسه بحديدة حشر يوم القيامة وحديدته بيده يحأ بما نفسه خالداً محنداً في النار من تردى من شاهق حشر يوم القيامة يتردى عني منخريه في النار خالداً محنداً من تحسي مما حشر يوم القيامة وسمه بيده يتحساه خالداً محنداً في النار.

قال الحسن بن رجاء الكاتب جاءني أبو تمام إلى خراسان فبنقني أنه لا يصلي فوكلت به من لازمه أياماً فلم يره صلى يوماً واحداً فعاتبته فقال: يا مولاي قطعت إلى حضرتك من

بغداد فاحتملت المشقة وبعد الشقة ولم أره يقل علي فلو كنت أعلم أن الصلاة تنفعني وتركها يضر في ما تركها فأردت قتله فخشيت أن يحمل علي غير هذا.

وفي تاريخ كثيرة أنه أحضر المازيار إلى المعتصم وقبل قدومه بيوم سخط علي الإفشين لأن القاضي ابن أبي داود قال للمعتصم: اعزل ويطأ امرأة عربية وهو كاتب المازيار وزين له العصيان فاحضر كاتبه ومهدده المعتصم فأقرانه كتب إلى المازيار لم يكن في الأرض ولا في العصر بلية إلا أنا وأنت وبابك وقد كنت حريصاً علي حقن دمه حتى كان من أمره ما كان ولم يبق غيري وغيرك وقد توجهت إليك عسكر من عساكر القوم فإن هزمته وثبت إننا بمنكهم في قرار داره فظهر الدين الأبيض فأجاب المازيار جواب هو عنده سبط أحمر فجمع بين الإفشين والمازيار فاعترف المازيار بما حكى عنه وقيل لمعتصم أن وراء المازيار مالا عس جنيلاً فأُشْد:

إن الأسود أسود الغاب هتها ... يوم الكريهة في المسنوب لا السلب

ذكروا أن اثنين قتلوا ثلاثة آلاف وخمسمائة ذباح بالثياب الحمر والخناجر الطوال وأنهم وجدوا أسماءهم في وقعة وقعة وفي بند بند وكانوا يأخذون من كل واحد خاتمه أو ثوبه أو مندينه أو تكته أتى الوادي فطم علي القرى.

قد لقيت من يجادلني أن عنياً رضي الله عنه وكذلك الحاكم وقد ظهر بالبصرة من يدعي أن

جعفراً بن محمد عليها السلام وأنه متصل به وروحه فيه ومتصلة به ولو استقصيت القول في هذا الفن لطال جداً ولكن:

لا بد للمصدور أن منفثاً ... وللذي في الصدر أن يبعثا

بل لو قلت كل ما أعلمه أكلت زادي في محبسي بل كنت أنشد:
 أحمل رأساً قد مُننت حننه ... إلا فتى يحمل عني ثقله
 وأستريح إلى أن أنشد:

ليس يشفي كنوم غير كنومي ... ما به ما به وما بي ما بي
 إن شكوت العصر وأحكامه وذممت صروفه وأيامه شكوت من لا يشكي أبداً وذممت من
 لا يرضي أحداً شيمته اصطفاء النمام والتحامل على الكرام وهمته رفع الحامل الرضيع
 ووضع الفاضل الرفيع إذا سمح بالحياء فأبشر بوشك الاقتضاء وإذا أعار فأسجه قد أعار
 فنا بين أن يقبل عليك مستبشراً ويولي عنك متجهماً مستبشراً إلا كنعج البصر
 واستطارة الشرر لم يخترق ذكر الوفاء مسامعه ولم يمس ماء الحياء مدامعه ظاهر ديسر
 ويونس باطنه يسوء ويونس يخيب ظن راجيه ويكذب أمل عافيه لا يسمع الشكوى
 ويشمت بالبلوى قد ذممت سيئاً ووقع في أمان كالغريق يطلب معقلاً والأسير يندب
 مطلقاً وأستحسن قول علي بن العباس ابن جريح الرومي:

ألا ليس شيك بالمتزع ... فهل أنت عن غية مرتدع
 وهل أنت تارك شكوى الزما ... ن إذا شئت تشكو إلى مستمع
 نشيت أخي الشيب أمانة ... إذا ما تناهر إليها منع

كنت في حال الحداثة أقرب الناس إلي وأعز علي وأقربهم عندي وأجنتهم في نفسي مرتبة
 من قال لي نساء الله في أجنتك جعل الله لك أمد الأعصار وأطولها فنا بنغت عشر الشنانين
 جاء الجزع والهلح قسم ارتاع والتاع وأخذ إلى الأطماع وهو الذي كنت أتمنى ويتنى لي

أهل أمن صدوف الغواني عني فانا والله عنهن أصدف وبهن أدوائهن أعرف إذ لست ممن
ينشد تحسراً عليهن:

لنسود في السود آثار تركن بها ... لمعاً من البيض ثقي أعين البيض

وقول آخر:

ولما رأيت السر عز ابن داية ... وعشش في وكره جاشت له نفسي

ولا أنشد لأبي عبادة البحري:

إن أيامه من البيض بيض ... ما رأين المفارق السود سودا

وإذا اخل ثار ثاروا غيوثاً ... وإذا النقع قار ثاروا أسوداً

بحسن الذكر عنهم والأحادي ... ث إذا حدث الحديد الحديد

بلدة تبت المعالي فما يت ... غر الطفل فيهم أو يسودا

وهذه صفة معرفة النعمان أدام الله تأييده لأختته منه ومن النعمة عليه وعنده فقد وجدت
أهلها معترفين بعوارفه خلا أبي العباس أحمد بن حنق المتع أدام الله عزه فأني وجدت آثار
تفضنه عليه ظاهرة ولسانه رطباً بشكره وذكره وقد ملأ السماء دعاء والأرض ثناء.
قالت قريش لئنني عليه الصلوة والسلام أتباعك من هؤلاء الموالي كبلال وعمار وصهيب
خير من قصي وكلاب وعبد مناف وهاشم وعبد شمس فقال نعم والله لئن كانوا قليلاً
ليكثرن ولئن كانوا ضعفاء ليشرفن حتى يصيروا نجوماً يهتدى بهم ويقتدى فيقال هذا
قول فلان وذكر فلان فلا تفاخروني بآبائكم الذين موتوا في الجاهلية فنما يدهدهم الجعل
بمنخره خير من آبائكم الذين موتوا فيها نبعوني أجعلكم أنساباً والذي نفسي بيده
لتقتسمن كنوز كسرى وقبصر فقال له عنه أبو طالب أبق عني وعلى نفسك فظن عنه

الصلوة والسلام أنه خاذله ومسنده فقال يا عم والله لو وضعوا الشئ في يميني والقصر في شمالي عني أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله وأهنتك فيه ما تركته ثم استعبر باكياً ثم قام فلما ولى ناداه اقبل يا ابن أخي فأقبل فقال اذهب وقل ما شئت فوالله لا أستلمك لسوء أبدأ فكان عليه الصلاة والسلام يذكر يوماً ما لقي قومه من الجهد والشدة وقال لقد مكثت أياماً وصاحي هذا يشير إلى أبي بكر بضع عشرة ليلة ما لنا طعام إلا البربر في شعب الجبال وكان عتبة بن غزوان وإن يقول إذ ذكر البلاء والشدة التي كانوا عليها بمكة لقد مكثنا زماناً ما لنا طعام إلا ورق البشام أكنناه حتى تقرحت أشداقنا ولقد وجدت يوماً قمره فجعلتها بيني وبين سعد وما منا اليوم أحد إلا وهو أمير عني كورة وكانوا فيمن وجد قمره فقسسها بينه وبين صاحبه أن أسعد الرجلين من حصلت النواة في قسسه ينوكها يومه ولينته من عدم القوت وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رعت غنيات أهل مكة لهم بالقراريط وابتدأ أمره أنه وقف على الصفا ونادى يا صاباحاه فجاءوا يهرعون فقالوا: ما دهمك ما طرقت قال: بما تعرفوني قالوا محمد الأمين قال: رأيتم أن قنت لكم أن خيلاً قد طرقتكم في الوادي وأن عسكرياً قد غشاكم من الفج أكنتم تصدقوني قالوا: النهم نعم ما جربنا عنك كذباً قط. قال: فإن الذي أنتم عنه ليس الله ولا من الله ولا يرضاه الله قولوا لا إله إلا الله وإني رسول واتبعوني تطعكم العرب وتمنكون المعجم وإن الله قال لي أستخرجهم كما استخرجوك وابعث جيشاً وابعث خمسة أمثاله وضمن لي أن ينصري بقوم منكم وقال لي: قاتل بمن أطاعت من عصاك وضمن لي أن يغيب سبطاني سبطان كسرى وقيصر ثم أنه عليه الصلاة والسلام غزا تبوك في ثلاثين ألفاً وهذا من قبل الله الذي يجعل من لا شيء كل شيء ويجعل كل

شيء لا شيء يحمد المائعات ويميع الجامدات يحمد البحر ثم يفجر الصخر وما مثله في ذلك إلا كمثله من قال هذه الزجاجية الرقيقة السخيفة أحك بها هذه الجبال الصلدة الصلبة المنيفة فترضها وتفضيها وهذه النملة الرقيقة اللطيفة تهزم العساكر الكثير المعدة وكذا حقيقة أمره عليه الصلاة والسلام حتى لقد قال عروة بن مسعود الثقفي لقريش وكان رسولهم إليه صلى الله عليه وسلم بالحديبية لقد وردت عني النجاشي وكسرى وقبصر ورأيت جندهم وأتباعهم فما رأيت أطوع ولا أوقر ولا أهيأ من أصحاب محمد محمد هم حوله كأن الطير على رؤوسهم فإن أشار بأمر بادروا إليه وإن توضأ اقتسبوا وضوءه وإن تنحكمت دكوا بالنخامة وجوههم ولحاهم وجلودهم وكانوا له بعد موته أطوع منهم في حياته حتى لقد قال بعض أصحابه لا تسبوا أصحاب محمد فإنهم اسلبوا من خوف الله وأسلم الناس من خوف أسيافهم فتأمل كيف استتج دعوته وهو ضعيف وحده بأن هذا سيكون فراه العدو والولي وما كان مثله في ذلك إلا مثل من قال هذه الهبة تعظم وتصير جبلاً يغطي الكعبة فدفعه عثمان بن طلحة العبدري فقال: لا تفعل يا عثمان فكأنك بمفتاحها بيدي استعين بعصمة الله وتوفيقه وأجعلها معيني على دفع شهواتي أشكر إليه عكوفي على الأمان وأسأله فهماً لمواعظ عبر الدنيا فقد عبت عن كنوم غيرها بما جشم على خواطري من الشغف ولست أجدر مني منصفاً لي ولا حاجزاً لرغبي فيها عنها وأين ودائع العقول وخزائن الأفهاء يا أولي الأبصار صفحنا عن مساوئ الدنيا إغماً لعاجل موفق التغيص وترمي إليه يد الزوال وتكنس له الآفات قال كثير:

كأي أنادي صخرة حين أعرضت ... من الصم لو تحشي بها العصم زلت

وأقول عني مذهب كثير باديا في كل لحظة لطرفي منك عبرة وفي كل فكرة لي منك
 حسرة يا مرفقة الصفا ويا ناقضة عهد الوفا ما وفق لحظة من عرج ولا سعد من أثر المقام
 عني حسن الظن بك مبهات يا معشر أبناء الدنيا لكم في الظاهر اسم الغني وفي الباطن
 أهل الثقل لهم نفس هذا المعنى كم من يوم لي أغر كثير الهنة قد أصحت سماءه وامتد
 عني ظنه قدمني ساعاته بالمنى ويضحك لي عن كل ما أهوى حتى إذا اتصل بكل أسبابي
 وامتزج سروره بفرحي وروحي وأترابي نصت عني به الدنيا فسعت بالتشتيت إلى ألفته
 والنقص إلى مدته فكسفت بمجته كسوفاً وأرهقت نظرة وحشته الفراق وقطعتا فرقاً في
 الآفاق بعد أن كنا كالأعضاء المترنفة والأغصان اللدنة المتعطفة وا حسرتي في يوم يجمع
 شرطي كفن ولحد.

ضيعت ما لا بد منه ... بالذي لي منه بد

وأنشد ابن الرومي:

ألا ليس شينك بالمتزع ... فهل أنت عن غيه مرتدع

فألقني وابكي بكاءً غير نافع ولا ناجع ويجب أن ابكي عني بكاتي وأنشد:

لساني يقول ولا أفعل ... وقنبي يريد ولا أعمل

وأعرف رشدي ولا أهتدي ... وأعلم لكنني أجهل

عرض علي بعض الناس كأس خمر فامتنعت منها وقتت خلوتي والمطبوخ عني مذهب

الشيخ الأوزاعي وقتت لهم عرض إبراهيم ابن المهدي عني محمد بن حازم الخنزة فامتنع

وأنشد:

ابعد شي أصبر ... والشيب للجهل حرب

سن وشيب وجهل ... أمر لعنك صعب
يا ابن إمام فألا ... أيام عودي رطب
وإذ مشي قنيل ... ومنهل الحب عذب
وإذا شفاء الغواني ... مني حليث وقرب
فألا لما رأى بي ... العذال ما قد أحبروا
وآنس الرشد مني ... قوم أعاب وأصبروا
آليت أشرب هجراً ... ما حجج الله ركب

وأبنت على نفسي مخاطباً لها ومعتباً والخطاب لغيرها والمعنى لها لقد أمهلكم حتى كأنه
أهلككم أما تتحون من طول ما لا تتحون فكن كالوليد تقلبه يد النطف به على
فراش العطف عليه تصرف إليه المنافع بغير طلب منه لصغره وتصرف عنه المضار بغير
حذر منه لعجزه أما سمعت الرسول عليه الصلاة والسلام إذ يقول في دعائهم اللهم
أكلأني كلاءة الوليد الذي لا يدري ما يراد به ولا ما يريد إلا متعلق والإذلال أذيال دليته
إلا معد معطية ورحلا ليوم رحيله يا هلاه الدلجة الدلجة أنه من يسبق إلى الماء يظماً إنما
منعتك ما تشتهي ضناً بك وغيره عليك قال الرسول عليه الصلاة والسلام: إذا أحب الله
عبداً حماه الدنيا وأنت تشكوي إذا حميت وتكره صياني إذا صتت إلا لا تذب بفتاننا ليعز
إلا فارقاً إلينا لا فار منا يا من له بد من كل شيء أرحم من لا بد له منك على كل حال
بغني بشيء عن شيء فلهذا قال جبريل للدخيل ألك حاجة قال: أما إليك فلا الله يسحق
أن يسأل وإن أغنى لأنه لا يغني بشيء عنه أطعه لتطيعه ولا تطعه ليطيعك فتفر وتقل. من

ترك تدبيره لتدبيرنا أرحمنا جل من لوالب القنوب والهشم بيده وعزائم الأحكام والأقسام
عنده:

أنسيت ذكر أحبة ... ينسون ذنبك عند ذكرك

وجفوههم ولطالما ... كانوا خلافتك طوع أمرك

وصبرت عند فراقهم ... ما كان عذرك عند صبرك

تترك من إذا جفوته ونسيت ذكره وتعديت حده وتركته هيه وضعت أمره وتبت إليه
وعولت في تفضنه عليك عليه وقتت: يا رب قال: لك ليك وإذا سألك عبادي عني فإني
قريب وإذا كان الذباب بوجهك فاقمك وإن قطعت أنا أعضائك تهمني أنت الذي إذا
أعطيتك ما أملت تركتني وانصرفت وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه يا واقفاً
بالحكم كم أليس يقول لك ما غرك بي تقول حملتك وإلا لو أرسلت علي بقعة لجنعتني
عليك إذا أردت أن تجمعني:

أمن بعد شربك كأن النهى ... وشمك ريحان أهل التقى

عشقت فأصبحت في العاشقي ... ن أشهر من فرس أبنقا

أدنياي من غمر بحر الهوى ... خذي بيدي قبل أن أغرقا

أنا لك عبد فكروني كمن ... إذا سره عبده أعتقا

كان ببغداد رجل كبير الرأس فيلي الأذنين اسمه فاذوه رأسه في الأزمنة الربعة مكشوف لا
يتورع عن ركوب مخزية يقال له يا فاذوه وينك تب إلى الله فيقول يا قوم لم تدخلون بيبي
وبين مولاي وهو الذي يقبل التوبة عن عباده فكان في بعض الشوارع يوماً ذاهباً
والشارع قد اتسع أسفله وضاق أعلاه والتقت جناحان فيه فتناولت جارة جارها مهراًساً

انسبل من يدها غنى رأس فاذود فهرس رأسه وخلط كخلط الهريسة وأعجله عن التوبة وكان لنا واعظ صالح يقول لنا احذروا ميتة فاذوه.

قل جبريل في حديثه خشيت أن يتم فرعون الشهادة والتوبة فأخذت قطعة من حال البحر فضربت بها وجهه يعني طينه والحال ينقسم ثمانية أقسام منها الطين فكيف يصنع من عنده أن التوبة لا تصح من ذنب مع الإقامة على آخر فلا حول ولا قوة بلغني عن مولاي الشيخ أدام الله تأييده أنه قال وقد ذكرت له أعرفه جزاً هو الذي مجا أبا القاسم علي ابن الحسين المغربي فذلك منه أدام الله عزه رائع لي خوفاً أن يستثر طبعي وأن يتصورني بصورة من يضع الكفر موضع الشكر وهو بتعريف التكبر عنده لجلالة قدره ودينه ونسكه وأنا أطنعه طنعه ليعرف خفضه ورفعته وفرا داه وجمعه.

كنت أدرس علي أبي عبد الله بن خالويه رحمه الله واختلف إلى دار أبي الحسين المغربي ولما مات ابن خالويه سافرت إلى بغداد ونزلت على أبي علي الفارسي وكنت أختلف إلى علماء بغداد إلى أبي سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرمانى وأبي عبد الله المزرباني وأبي حفص الكتاني صاحب أبي بكر بن مجاهد وكتبت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغت نفسي أغراضها جهدي والجهد عاذر ثم سافرت منها إلى مصر ولقيت أبا الحسن المغربي فالتزمني إن لزمته لزوم الظل وكنت منه مكان المثل في كثرة الإنصاف والحنو والتجاف فقال لي سرأ أنا أخاف همة أبي القاسم أن تزوبه إلى أن يوردنا ورداً لا صدر عنه وإن كانت الأنفاس مما تحفظ وتكتب فأكتبها وأحفظها وطالعي بها فقال لي يوماً ما نرضى بالحنول الذي نحن فيه قلت وأي حنول هنا تأخذون من مولانا خلد الله ملكه في كل سنة ستة آلاف دينار وأبوك من شيوخ الجولة وهو معظم مكرم فقال: أريد أن تصار

إلى أبوابنا الكتائب والمراكب والمقانب ولا أرعى أن يجرى علينا كالولدان والنسوان
فأعدت ذلك على أبيه فقال: ما أخوفني أن يختصب أبو القاسم هذه من هذه وقبض على
لحيته وهامته وعلم أبو القاسم بذلك فصارت بيني وبينه وقفة.

وأنفذ إلي القائد أبو عبد الله الحسين بن جوهر فشرفني بشريف خدمته فرأيت الحاكم
كننا قتل رئيساً أنفذ رأسه إليه وقال: هذا عدوي وعدوك يا حسين فقلت من ير يوماً ير
به والدم لا يغتر به وعذبت أنه كذا يفعل به فاستأذنته في الحج فأذن فخرجت في سنة
سبع وتسعين وحججت خمسة أعوام وعدت إلى مصر وقد قتله فجاءني أولاده سراً
يرمون إلى الرجوع إليهم فقلت لهم خير مالي ولكم الهرب ولأبيكم ببغداد خمسمائة ألف
دينار فاهربوا وأهرب ففعلوا وفعلت وبلغني قتلهم بدمشق وأنا بطرابلس فدخلت إلى
إنطاكية وخرجت منها إلى منطية وبها الماسيطكرية خولة بنت سعد الدولة فأقنت
عندها إلى أن ورد علي كتاب أبي القسم فسرت إلى ميافارقين فكان يسر حسواً في ارتقاء
قال لي يوماً من الأيام: ما رأيك قنت: أعرضت حاجة؟ قال: لا أردت أن ألعنك قنت
فالعني غائباً قال: لا في وجهك أشفى قنت: ولم قال: لمخالفتك إياي فيما تعلم. وقلت له
ومحن على أنس بيني وبينه لي حرمان ثلاث البند^ة وتربية أبيه لي وتربيته وتربيته لإخوتي
قال هذا حرم مهتكة البندية نسب بين الجدوان وتربية أبي لك منة لنا عليك وتربيته
لإخوتي بالخلع والدنانير أردت أن أقول له: استرحمت من حيث تعب الكرام فخشيت
جنون جنونه لأنه كان جنونه مجنوناً وأصبح منه مجنون وأجن منه لا يكون وقد أنشد:

جنونك مجنون ولست بواحد ... طيباً يداوي من جنون جنون

بل جن جنانه ورقص شيطانه:

به جنت مجنونة غير أنها ... إذا حصلت منه ألب وأعقل

وقال لي ليلة أريد أن أجمع أوصاف الشمعة السبعة في بيت واحد وليس يسع لي ما
أرضاه ففقت أنا أفعل من هذه الساعة قال أنت جديتها الخك وعذيقها المرجب فأخذت
القلم من دواته وكتبت بمحضرتة:

لقد أشبهتني شمعة في صباي ... وفي هول ما ألقى وما أتوقع

نحول وحرق في فناء ووحدة ... وتسفيد عين واصفرار وأدمع

فقال كنت عمنت هذا قبل هذا الوقت فقلت قمعني سرعة الخاطر وتعطيني عنم الغيب
وقلت: أنت ذاكر قول أيك لي ولت ولبي الشاعر وخسن الدمشقي ونحن في الطارمه
اعنوا قطعة قطعة فمن جود جعلت جائزته كتبها فيها ففقت:

بنع السناء سمو به ... ت شيد في أعلى مكان

بيت علا حتى تو ... ر في ذراه الفرقدان

فأنعم به لا زلت من ... ريب الحوادث في أمان

فاستجاد سرعتها وكتبها في الطارقة وخنع عني وكان أبو القسم منولا والمنول ربما مل
الملال وكان لا يمل أن يمل ويحقد حقد من لا تئين كبد ولا تحل عقده وقال لي بعض
الرؤساء معاتباً: أنت حقوق ولم يكن حقوقاً ففقت له أنت لا تعرف والله ما كان يحق
عوده ولا يرجى عوده وله رأي يزين له العقوق ويمقت إليه رعاية الحقوق بعيد من الطبع
الذي هو لنصد صدود وللتألف ألوف ودود. كأنه من كبره قد ركب الفنك واستوى
عني ذات الحين ولست ممن يرغب في راغب عن وصلته أو يتزع إلى نازع عن خنته

فما رأيته سارواً جارياً في قنّة إنصافي عني غلوائه محوت ذكره عن صفحة فوادي
واعتدلت وده فيما سأل به الوادي.

ففي الناس إن رثت جبالك واصل ... وفي الأرض عن دار القنى متحول
وأنشدت الرجل أبياتاً اعتذر بها في قطعي له:

فلو كان منه الخير إذ كان شره ... عتيلاً لقنا إن خيراً مع الشر
ولو كان إذ لا خير ولا شر عنده ... صبرنا وقننا لا يريش ولا يبري
سولكنه شر ولا خير عنده ... وليس عني شر إذا دام من صبر

وبغضي له شهد الله حياً وميتاً أوجبه أخذه محاريب الكعبة الذهب والفضة وضربها دنائير
ودراهم وسماها الكعبة وأغلب العرب الرملة وخرب بغداد وكم دم سفك وحريم انتهك
وحرة أرمل وصبي أيتم وأنا معتذر إلى الشيخ الجليل من تقريظه مع تقريظي فيه لأنه قد
شاع فضنه في جميع البشر وصار غرة عني جبهة الشمس والقمر خند ذلك فيه بدائع
الأخبار وكتب بسواد الليل عني بياض النهار وأنا في مكتبة حضرته بمنظوم ومنثور كن
أمد النار بالشرر وأهدى الضوء إلى القمر وحب في البحر جرعة وأعار سير الفلك سرعة
إذ كان لا يحل النقص بواديه ولا يطور السهو بناديه.

ولقد سمعت من رسائنه عقائل لفظ أن نعتها فقد عبتها وإن وصفتها فما أنصفتها
وأطربني يشهد الله أطراب السماع وبالله لو صدرت عن صدر من خزانته وكتبه حوله
يقنب طرفه في هذا ويرجع إلى هذا فإن القلم لسان اليد وهو أحد البلاغين لكان ذلك
عجيباً صعباً شديداً والله لقد رأيت عناء منهم ابن خالويه إذ قرأت عليهم الكتب
ولاسيما الكبار رجعوا إلى أصولهم كالمقابين يتحفظون من سهو وتصحيف وغط

والعجب العجيب والنادر الغريب حفظه أدام الله تأييده لأسماء الرجال والمنثور كحفظ غيره من الأذكياء المبرزين المنظوم وهذا سهل بالقول صعب بالفعل من سمعه طبع فيه ومن رآه امتنعت عليه معانيه ومبانيه.

حدثني أبو علي الصقلي بدمشق قال: كنت في مجلس ابن خالويه إذ وردت عليه من سيف الدولة مسائل تتعلق بالنغة فاضطرب لها ودخل خزانته وأخرج كتب النغة وفرقها على أصحابه يفتشونها ليجيب عنها وتركته وذهبت إلى أبي الطيب النغوي وهو جالس وقد وردت عليه تلك المسائل بعينها ويده قلم الحبرة فأجاب به ولم يغيره قدرة على الجواب وقال أبو الطيب: قرأت على أبي عمر الفصيح وإصلاح المنطق حفظاً وقال لي أبو عمر كنت أعنى النغة عن ثعلب على خرف وأجنس على دجنة أحفظها وأرمي بها وأنا تعب وحفظت نصف عمري ونسيت نصفه وذلك أني درست في بغداد وخرجت عنها وأنا طري الحفظ ومضيت إلى مصر فأمرجت نفسي في الأغراض البهيمية والأغراض المؤتمية وأردت بزعمي وخديعة الطبع المليم أن أذيقها حلاوة العيش كما صبرت في طنب العنم والأدب ونسيت أن العلم غذاء النفس الشريفة وصيقل الأفهام اللطيفة وكنت أكتب خمسين ورقة في اليوم وأدرس مائتين فصرت الآن أكتب ورقة واحدة وتحكي عيني حكاً مؤلماً وأدرس خمس أوراق وتكل ثم دفعت إلى أوقات ليس فيها من يرغب في علم ولا أدب بل في فضاة وذهب فلو كنت إياساً صرت باقلاً وأضع كتاباً عن يميني وأطلبه عن شمالي وأريد مع ضعفي أن أرتاد لنفسي معاشاً يظهر غير ظهير بل كسير عقيل وصنب غير صليب إن جلست فهو كالدمل وإن مشيت فجنيتي دماويل ومعني بقية نزرة يسيرة من جهلة

كثيرة لو وجدت ثقة أعطيته إياها ليعود عني بما أرفه به جسدي من الحركة وقنبي من الشغل وأنا أجد من أدفعها إليه وبقي أن يردّها إلي.

دفع رجل إلى صديق له جارية أودعها عنده وذهب في سفره فقال بعد أيام لمن أنس به وتمكن نفسه إليه: يا أخي ذهبت أمانات الناس أودعني صديق لي جارية في حمالة أها بكر جربتها فإذا هي ثيب. ومن ظريف الأخبار أن ابنة أخي سرقت لي ثلاثة وثلاثين ديناراً فلما هددها السلطان أطال الله بقاءه ومد مدته وأدام سموه ورفعته وأخرجت إليه بعضها قالت: والله لو عنيت أن الأمر يجري كذا كنت قتلتها فأعجبوا من هريستي وزبوني والله لولا ضعفي وعجزتي عن السفر لخرجت إليه متشرفاً بمجالسته ومحاضرتة فأما مذكراته فقد يئست منها لما قد استولى عني النسيان واحتوى عني قنبي من المهوم والأحزان وإلى الله الشكوى لا منه وليس يحسن أن أشكو من يرحمني إلى من لا يرحمني وليس بحكيم من شكا رحيماً إلى غير رحيم وكان أبو بكر الشبلي يقول: ليس غير الله ولا عند غير الله خير. وقال يوماً: يا جواد ثم أمسك مفكراً ورفع رأسه ثم قال: ما أوقحي أقول لك يا جواد وقد قيل في بعض عبيدك:

لو لم يكن في كفه غير نفسه ... لجاد بها فليثق الله سائده

وقد قيل في آخر:

تراه إذا جنته متهدلاً ... كأنك معطيه الذي أنت سائده

ثم قال: بنى أقول يا جواد فاق كل جواد وبجوده جاد من جاد. ودخل ابن السكك عني الرشيد فقال له عظمي وفي يد الرشيد كوز ماء فقال: مهلاً يا أمير المؤمنين أرايت أن أقدر الله عليك مقدراً فقال لن أمكنك من شربة إلا بنصف منكك أكنت فاعلاً ذلك قال: نعم

قال: اشرب هناك الله فلما شرب قال: رأيت يا أمير المؤمنين أن لو أسفت نفس هذا المقدر عنك فقال: لن أمكنك من إخراج هذا الكوز إلا بأن أسبد بمنك دونك أكت فاعلاً ذلك قال: نعم قال: فاتق الله في منك لا يساوي الإبولة وكيف أشكو من قاتي وعالي نيفاً وسبعين سنة كان قيصي ذراعين فوكل بي والدين حدين مشفقين يتناهيان في دقته ورقته وطيه فلما صار اثني عشر ذراعاً تولاه هو وطعامي فلما أجاعني قط ولا أعراني والذي هو يطعمني ويسقين خاطب ربه بالأدب فقال فإذا مرضت فهو يشفين فنسب المرض إلى نفسه لأنها تنفر من الأعراض والأمراض وكل شيء يطرأ على الإنسان لا يقدر على دفعه مثل النوم واليقظة والضحك والبكاء والغم والسرور والخصب والجذب والغنى والفقر فهو منه تقدست أسماؤه ألا ترى أنه لا يتوعد على فعله ولا يعاقب عليه وما يقدر على دفعه فهو منه مثل أن يريد الكتابة فلا يقع منه البناء ويريد البناء فلا تقع منه الكتابة ومن به الرعشة لا يقدر على إمساك يد ومن ليست به يقدر على إمساكها.

كنت بتيس وبين يدي إنسان يقرأ ويحزن: يوفدون بالندى ويخافون ويكي فخطر لي خاطر فقلت أنا بصد هؤلاء القوم صنوات الله عنهم أنا لا أنذر ولا أفي ولا أخاف شقاء ولا عناء ولو كنت أخاف ما أصبحت محمواً وكته وحدثني من أثق به ولا أقصد عن أبيه وكان زاهداً قال: كنت مع أبي بكر الشبني ببغداد في الجانب الشرقي بباب الطاق فرأينا شاكراً قد أخرج حملاً من التنور كأنه بسرة نضجاً وإلى جانبه قد عمل حلاوى فالودجاً فوقف ينظر إليهما وهو ساه مفكر فقلت يا مولاي: دعني آخذ من هذا ورقاقاً وخبزاً ومزلي قريب تشرفني بأن تجعل راحتك اليوم عندي فقال: يا هذا أظنت أني قد

اشتهيتها وإنما فكري في أن الحيوان كنه لا يدخل النار إلا بعد الموت ونحن ندخلها
أحياء.

يا رب عفوك عن ذي شبة وجل ... كآته من حذار النار مجنون

قد كان ذمم أفعالاً مذممة ... أيام ليس له عقل ولا دين

تمت الرسالة والحمد لله ذي الأفضال وصلواته على محمد وخيرة الآل ما فرغت من هذه
الموداء حتى ثارت بي الموداء وأنا أعتذر من خلط فيها أو زلل فإن الخطأ مع الاعتذار
والاجتهاد والتحري موضوع عن المخطئ ومن ذا الذي يؤتى الكمال فيكمل. قال عمر
بن الخطاب: رحم الله امرأً امتدى إلى عيوي وأسأله أدام الله عزه تشريفي بالجواب عنها
فإن هذه الرسالة عنى ما بها قد استحنت وكتبت عني وسمعت مني وشرفتها باسمه
وطرزتها بذكره والرسالة التي كتبها الزهرجي إلي كانت أكبر الأسباب في دخولي إلى
حنب وإذا جاء جواب هذه سيرة ما يحلب وغيرها إن شاء الله وبه الثقة وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وسلم.

الدين والدنيا

وأيّن يخففان وكيف يتفقان

ادخر لدنياك ادخار الراغب فيها ... وتزود من دينك زاد الراغب عنها.

نسنع في الأرض اليوم صيحة تصم الأذان منشؤها اختلاف المذاهب والأديان. وهي عنى
كثرة الصائحين فيها قد صارت أشبه شيء بنقطة زمرة من المغنين وقد علت أصواتهم
واختلفت لهجاتهم وتباينت نغماتهم فيقف السامع الصحيح الأذن مبهوراً من خلط هؤلاء
المغنين كخبطنا بين الدنيا والدين.

يريد بعض الناس أن يكون الدين كل شيء. وينظر غيرهم إلى الدين كأنه لا شيء. وبين هؤلاء وأولئك أفراد وزمر يتشاحنون ويتجادبون ويتخاذلون ويقتلون تعصباً للدين ولكنهم في الحقيقة يسخطون رب العالمين الذي لو شاء لجعلها أمة واحدة ووحيد لها السراط إلى عليين.

في تعاليم كونفوشيوس المسألة والإخاء أساس الدين. وفي الديانات الفتشية وهي أحط الأديان في نظر الرأيين لما نحن فيه أن العداة بسبب اختلاف المعتقد بل كل منهم وما يعبد شرط الولاء للقبيلة وفي التوراة على لسان سليمان الحكيم من يعلم روح بني البشر هل هي تصعد إلى فوق وروح البهيمة هل هي تنزل إلى أسفل إلى الأرض. جامعة ص ٢١-٣ فكان سليمان يوعز إلى قومنا بأن يفتأوا من حدقم في احتكار طريق السماء. وفي الإنجيل في بيت أبي منازل كثيرة. وإن الذين بلا شريعة فغير الشريعة بدانون. وإن كل عمل خيراً مقبول عنده فعلى م التعصب. وفي القرآن الشريف من يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره. وإن الله رب العالمين ولم يقل رب النصارى ولا رب المسلمين.

وفي حكم العقل أن الله تعالى يجلي عنه أن يخلق أمماً وشعوباً لجعلها برمتها طعاماً للنار لأنها عملت بشريعة الضمير التي سنها هي لتكون شريعة عامة وتجاوزت بعض الأمور العرضية التي لم يتفق لها أن تقتنع بما لرسوخ غيرها في مكانها مما لا يضر بالإنسانية ولا يغضب رب البرية.

وفي حكم الكتب المنزلة والعقل معاً أن إلها الرحوم الغفار. الحب الأب السماوي. لم يخلقنا ليظهر قوته وبطشه فينا فيرسل بعض أبناءه إلى بحيرة النار المتقدة لأنهم يسرون إليه

في طريق لا نراها نحن مواصلةً إليه إما لنقص في مداركنا وإنا لأنه تعالى لم يشأ أن يوحى إلينا بكامل إرادته في خلقه. أو يعقل أن نسب للإله الذي هذه صفاته محبة التلهي بمنظر لحوم أبناءه وهي تشوى في نار جهنم كأنه يسر بتعذيبنا وهو الرحيم الرحمن الغفار لجميع ذنوبنا إذا آمننا به كما نحن مؤمنون؟

إذا فالموحدون جميعاً وجهتهم الإله الواحد وإليه يسرون. فلماذا هذه القيامة القائنة على الأرض وهذا التعصب الذميم الذي يفرق الأخ عن أخيه والابن عن أبيه. أنزلت علينا آيات بينات بكره كل من خالف معتقدنا وبإثارة حرب عوان على إخواننا في الدين من الموحدين. بل مالنا وللنكفرة الملحدين والله رقيب عليهم وإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم لأنه على كل شيء قدير.

نعلم أن جميع الأديان توصي بمحبة الناس بعضهم لبعض ومنع الاعتداء. وبالمسالمة. والإخاء. فضلاً عن شريعة الضمير ووصية كنفوشيوس والسيد المسيح معاً القائنة مهنا تريدون أن يفعل الناس بكم فافعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم.

فأين حكم العقل والضمير وهذه التعاليم السامية من سير البعض منا ممن يتصافحون بالخناجر ويسنون بالمسدسات لا لسبب سوى كون الفئة الواحدة تسير إلى خالقها في طريق موازية لما تسير فيها الأخرى:

أهكذا تكون مقدمات الأمم التي تريد الرقي في عمراتها. أم نظن أن الله يرضى عن مثل هذه الأفعال التي ما أنزل بها من سلطان.

بقي أن منبت التعصب ليس في الدين نفسه بل في ما أدخل عليه من التقاليد والشروحات والتفاسير المضلة التي قد سمت عقول العامة حتى صاروا ينظرون بعضهم إلى

بعض نظر العدو الألد على الرغم كونهم أبناء وطن واحد تجمعهم جوامع اللغة والقومية والوطنية ووحدة المعتقد برهم أجمعين.

حقاً إن حالتنا في الشرق لما تذرف لها الدموع السخينة. لأننا تركنا الجوهر وتمسكنا بالعرض تركنا العبادة الحقيقية بالروح أو الحق وصرنا ننظر إلى الأسماء لا إلى المسيات. فمن كان اسمه محمداً أو بطرس أو هرون أو حمزة أو مارون أو نقولا صار كأنه يحمل في عنقه علامة ليقنته كل من يجده من أخوانه في الإنسانية وأشقائه في الوطنية.

فإلى يا قومنا على هذه الحالة الخزنة نخط الدين بالدنيا في معاملتنا وصلواتنا ووظائفنا وخدمنا الوطنية وواجباتنا القومية.

ألا يدري رؤسائنا الروحيون أن كلمة منهم تغير مبادئ العامة أكثر من مجلد يكتبه غيرهم من الناس. فلماذا لا يتكلمون ويزهنون الوحشة بل الغلظة من قلب الرعايا مع بقاء المعيدات على أصنافها مجردة عن الزيادات.

هو ذا بعض المفكرين من أخواننا المسلمين في وادي النيل قد جاہروا بوجوب الإصلاح الديني ودعوا الراسخين في العلم إلى مجتمع يبحثون فيه لشقية الدين مما طرأ على محيطه من الشوائب التفسيرية والعادات التقليدية التي لا تتفق مع جوهر الدين. فلماذا لا نأخذ نحن حذوهم فنعم نفعهم ونترع عن الدين صيغة التعصب التي شوهته بها العصور الوسطى ولا تزال عليه إلى الآن.

يظهر مما تقدم أن الدين والدنيا يطفقان إذا نزعنا عن الدين ما ألصقه به المحضون من الزوائد الضارة وهو يزداد اختلافاً كلما زدنا تفننا في تفسير التعصب ونخرجه إغراء للسذج ببعائهم على ما هم عليه من الجهل المطبق.

ديننا لا تخف يا أخي التقي فإن لا قوة بشرية تقدر على اختطاف دينك منك ولا على زعزعة أركانه إذا كان مؤسساً كما تعتقد على الصخر.

قدع الزوابع قلب وافرح بعدم اقتدارها على هزه. أما إذا كنت حذراً خائفاً على دينك فتحيطه بسور لئلا تسفه الريح فتقتك إذاً بصاحبه قليل، ولذلك تحاول أنت أن تملأ نقص هذه الثقة. ألا تعلم أن الحق يعلو ولا يعلى عليه وأن الصحيح لا يتحول إلى فاسد باختلاطه بالأمور الدنيوية بل يطفو كالزيت فوق عكر الماء وتظهر شوائبه لأقل نظرة كما ظهرت الشوائب التي أدخلت فيه إلى الآن.

كنمة إلى حضرة رؤساء الأديان جاء في الأمفار الدينية رئيس شعبك لا تقل فيه سوء. فأنت رؤساء الشعب الروحيون ولذلك فإننا نجل مقامكم ونحترمكم ونضمن لكم حفظ الرئاسة الدينية على شرط أن تقصروا الدين عن الدنيا لأنكم لستم رؤساء فيها وريجوز أن

تكونوا لئلا يلتوي عليكم الأمر في سياستنا التي تحتاجون معها إلى توحيد القوى العقلية. وبعد هذا نرجوكم أن تفهموا الفلاح والصانع والتاجر والواعظ والكاتب وغيرهم أن يحترف كل منهم حرفته العالمية مجردة عن كل صبغة دينية. وإذا جاءكم طلاب الوظائف وأرباب الدعاوي واحتلنوهم إلى المراكز الدنيوية وبثتم فيهم روح الدين الصحيح القاضي باعتبار جميع الناس إخواناً في الدنيا. وإذا جاهرتم بمبدأ الإخاء من على المنابر. وإذا نزعتم من قلوب الشعب أشواك الجهل الديني وهو العصب الدميم. وإذا أعطيتونا قدوة نتبعها في هذا السيل. فإنكم إذا فعلتم جميع ذلك تخدمون الدين

والإنسانية معاً وحينئذ ترونا نزيد مقامكم رفعة ونجل جميعاً رناستكم شاكرين لأنكم بذلك تسكتون السنة المنعمرين.

هذه الطريقة المثلى لفصل الدين عن الدنيا ولتعزير المراكز الدينية العليا لأن بها يستوفي العمران نصيبه ويحافظ الدين على حقه. فمن لنا من سادتنا الروحيين بمن يبدأ بالجاهرة بهذا التساهل وهذا التسامح فنسطرها له باكورة للإصلاح الديني في القرن العشرين.

دنيانا_علينا في دنيانا واجبات كثيرة لا بد من قضائها من التعاون والتعاقد بقطع النظر عن الدين. هو ذا البلاد في حاجة إلى الشركات الوطنية وتوحيد الكنيسة القومية في الدفاع عن الوطن وفي تعميره بما حسن من الحضارة الحديثة. فمن يقوم بهذه الأعمال ومتى يتم لنا النجاح إذا بقي الدين حاجزاً بين أبناء المذاهب المتفرقة. أو كيف يمكن أن نهض معاً ونحن ينظر بعضنا إلى بعض شرراً كنظر القريب إلى الغريب المعتدي. أن نكذب على أنفسنا وعلى الله بقولنا أن الدستور قد وحد فينا المبادئ القومية وما قومنا لأن إلا المذاهب متجسدة والضعفان كامنة تكاد أن تظهر من تحت الرماد في كل منة ومذهب.

هذه هي الحقيقة وأدلتها تحيط بها إحاطة المهالة بالقصر. والحقيقة أولى أن تقال لئلا يذهب بنا الزهم إلى الاعتقاد بأننا قد صرنا كما أظهرنا في بلد حياتنا الدستورية.

أجل إن فينا العدد العظيم من يريدون الإخاء وينادون به بآلتهم جرائدهم وأعمالهم ولكن لا يزال في البلاد كثيرون من نصراء الدور السابق من ينقون الشقاق في كل منة ويشنون الناس عن سيرهم في دنياهم متأخين.

فأعمال هؤلاء لا يكشفها سوى حجة الأقلام المناط بهم الدفاع عن الجامعة القومية. ولقد كان لجرائدنا على اختلاف نزعاتها الفضل العظيم في إمالة الخواطر وتحويل الرأي العام عن التعصب إلى الحرية والمساواة والإخاء ولا تزال نطعم من زملائنا بإعادة الكرة المرة بعد المرة على كل خالط لندين بالدنيا.

وإننا لنعجب من استحكام هذا الشر في بلادنا الشرقية حيث الذكاء يتدفق من العقول في حين أننا لا نرى عند غيرنا عشر معشار ما نحن فيه من الشقاق.

أسبب ذلك كون أرضنا مهبط الوحي ومحمد الصالحين؟

أنكون أول من قصد الله بنا خيراً فحولناه بجهلنا إلى شر عظيم؟

أهكذا كانت غاية محمد وموسى وعيسى عليهم السلام أجمعين أن يزرعوا في قلوبنا العداوة إلى أبد الأبد؟

أقصد هؤلاء الداعون الناس إلى طاعة ربهم أن يعدلوا الشقاق في دنياهم بواسطة الدين؟ كلا. ثم ألف كلا—إننا نحن السبب في ذلك كله لأن نفوسنا جانحة إلى الشر والله لا يغر قوماً إلى الحسنى قسراً إذا هم أبوا أن يغيروا ما بأنفسهم. لأن الإنسان حر في أفعاله ليكون لكل نفس ما أكسبت وعليها ما اكتسبت.

وخلاصة ما نقول في هذا الشأن أننا قد شعبنا من العداء وقد كنت خناجرنا من الطعن ومسدساتنا من خطف الأرواح فهي تضرع إلينا بلسان حالها قائنة استبدلوني بالنظرات الأخوية والمصافحة السلمية والقبلات القلبية. ألقوني في اليم وسيروا بلا خوف ولا عداة وتضافروا في أعمالكم وتعاونوا في خدمة وطنكم. انسوا ذكري وأهملوا أمري وتسبحوا بالغيرة الوطنية واخبة الأخوية.

لقد آن الوقت للاختلاط في الخدمة والأعمال المالية والإندغام في الدفاع والسعي وراء المصلحة القومية.

ولا يتم لكم ذلك إلا بترك الشقاق فتركوني ولا يزول الشقاق إلا بفصل الدنيا عن الدين وبذلك تريحوني وتخلصون دنياكم وتكسبون رضى رب العالمين.

وفي الختام إننا نبتهل إليه تعالى لينظر إلينا بعين الرضى ويتزع من قلوبنا شوك الشقاق وينهتنا رحمة منه إلى التوفيق بين مساعينا الدنيوية مع تمسكنا بأصول الدين مجردة عن الدخيل. وهو حسنا ونعم الوكيل.

خزيل سعد.

غرف التجارة

تتمة ما ورد في الجزء الماضي

ذكرت قبلاً بعض ما تقتاز به الغرفة الباريزية على غيرها من الغرف الفرنسية من الامتيازات وقد مضى عليها مائة وسبعة أعوام وهي ذات مقام سام خاص بها ولها خمس لجان على استشارية الأولى تبحث في المسائل الاقتصادية كما شأنها تتوغل بتحقيق مسائل الرسوم الجمركية والإدخالية (الأوكتروا) والثانية تشغل بمسائل الوسائط التقنية والثالثة بالمسائل التجارية والصناعية والرابعة بمسائل الصادرات وتعنى الخامسة بالدروس ولها أيضاً تسع لجان إدارية تشغل بدور البورصة ومدارس التجارية والمكتبات. . . . ولها ديوان يتولى كتابة تقاريرها الأسبوعية وقد نظمت هذه الغرفة خلال سني ١٩٠١ و١٩٠٢ ستة وسبعين ومائة تقرير في مسائل شتى واتحدت مع عدة لجان ألفت في النظارات وأوفدت منها أعضاء إلى المؤتمرات الأجنبية.

وتتفق كل عام أربعة وخمسين ألف فرنك على الدائرة الوطنية للتجارة الخارجية وستة وستين ألفاً على مدرسة التجارة ومئة وعشرين ألفاً على مدرسة التجارة العالية وخمسة وثلاثين ألفاً على الدروس الفنية وأربعين على دور البورصة وثلاثين ألفاً على الأوضاع والأعمال المفيدة للتجارة.

وتتولى غرفة التجارة الباريزية إدارة كل من مدرسة العلوم التجارية العالية التي أنشئت سنة ١٨٨١ وموازنتها ٥٢٧ ألف فرنك ومدرسة التجارة العالية التي أنشئت سنة ١٨٢٠ وموازنتها (٥١٠) آلاف فرنك ومدرسة التجارة التي أسست عام ١٨٦٣ وموازنتها ٢٣٥ ألف فرنك وتحت حماية غرفة تجارة باريس الجمعية التجارية لتعليم الألسنة الأجنبية وجمعية الترغيب في إصدار الأموال التجارية الفرنسية وقد أسست عام ١٨٨١.

* * *

ذكرنا أوضاع الغرف الفرنسية عامة والغرفة الباريزية خاصة ونبحث الآن في أوضاع الغرف التجارية في البلاد العثمانية وإليك البيان:

قضى القرار الصادر في العام ١٢٩٣ بتأليف جمعيات زراعية وتجارية مؤلفة من أربعة وعشرين عضواً في القسطنطينية واثنى عشر عضواً في حواضر الولايات وثمانية أعضاء في مراكز المتصرفيات وأربعة أعضاء في مراكز الأقضية ومن الشروط الأساسية النظامية أن يكون الأعضاء الذين يتوظفون في القسم التجاري من التجار والأعضاء الذين يتوظفون في القسم الزراعي من الزراع وأن تكون الغرف مرتبطة ومنحقة بعضها ببعض وأن تكون غرف الولايات تابعة لنظارة التجارة مباشرة. وكانت الغاية من كل هذا تنسيق الغرف تنسيقاً إدارياً بحيث تكون مرتبطة بالحكومة ارتباطاً موثقاً غير أن هذا التنسيق الذي لم

ينظر في وضعه إلى الوسط والأحوال لم يشتر قط الشرة المطنوبة. وفي اليوم السادس من صفر عام ١٢٩٧ أي بعد أربعة أعوام أعلن النظام الأساسي لغرفة القسطنطينية وفي العشرين من رمضان عام ١٢٩٨ الموافق لليوم الثالث من آب ١٢٩٨ أعلن النظام الداخلي لغرفة التجارة وأصدر في هذا التاريخ قوانين تقضي بتأسيس غرف صناعية وتجارية على حدة.

وكان إعلان النظام الأساسي لغرف التجارة باسم النظام الأساسي لغرفة دار المعادة التجارية ولم تكن الحكومة نظاماً خاصاً بغرف الولايات التجارية. ولم يعلم سر نسبة هذا النظام إلى غرفة القسطنطينية على أنه لم يكن مستحيلاً درج الحكام والمواد المتعلقة بغرفة القسطنطينية التجارية في النظام العام للغرف التجارية.

ولم تمنع هذه الحال تأسيس الغرف في الولايات بل أن هذه حذت حذو اسطنبول وأنشأت غرفاً قياساً على غرفة العاصمة. وقرر شوري الدولة أن تطبق غرف المنحقات وضعها وإعمالها على غرفة الآستانة وأن يراقب موظفو الملكية الغرف ويلاحظوا ما يكتفل حسن إدارتها وبقاتنها وأنه أنيط بالولاية إنشاء الغرف في أوقاتها لإيجاد الأسباب التي تؤول إلى ترقية التجارة الأهلية وأنها (الغرف التجارية) مرتبطة بنظارة التجارة وأن لها الحق بمراجعة النظارة إذا دعت الحاجة وأبنع كل هذا إلى محل الإيجاب واتخذ أيضاً بعض قرارات بما ستجري على غرف الولايات والأقضية من الامتيازات.

ولقد تأسست غرف زراعية في بعض الجهات ولم تؤسس في أكثرها ولم يؤسس غرف صناعية مطلقاً ولذلك طلبت نظارة التجارة أن تقوم غرف التجارة بأعمال الغرف الزراعية والصناعية وواجباًها. وقرر مجلس الوكلاء قبول هذا الطلب واقترب بإرادة سنية

في السابع والعشرين من جمادى الآخرة لعام ١٣٠٦ وعلى إثر إلغاء غرف الزراعة والعدول عن تأسيس الغرف الصناعية دعيت الغرفة التجارية (غرف التجارة والزراعة والصناعة) ولكن من اللازم إلّا لب إحداث غرف زراعية على حدة لأنّ العنصر الحيوي في بلادنا هو ولا شك الزراعة. ويتيسر للغرف التجارية أن تقوم بأعمال غرف الصناعات ولا بأس بتوحيدهما لأنّ الصناعات في بلادنا أقرب إلى العدم منها إلى الحياة. يقضي النظام الأساسي لغرف القسطنطينية التجارية أن تكون مؤلفة من أربعة وعشرين عضواً.

وشروط العضوية أولاً أن يكون المنتخب (بفتح الحاء) بالغاً الثلاثين من عمره ثانياً أن يكون ممن قضوا في التجارة لا أقل من خمس سنين غير متهم بمحنة أو جنائية ولا مفلس (إلا إذا استرجع اعتباره بعد الإفلاس) وأن يكون من ذوي الشرف والاستقامة. وتجري الانتخابات بالأكثرية الخفية. وعند تساوي الآراء يرجح الأكبر سناً ولا يجوز انتخاب عضوين من شركة واحدة. ولجنة الانتخاب تتألف من عشرين منتخب أول (بفتح الحاء) تنتخبهم نظارة التجارة والزراعة (الآن نظارة التجارة والنافعة) وعشرة ينتخبهم التجار فيجتمعون تحت رئاسة ناظر التجارة (في الولايات تحت رئاسة الوالي والألوية تحت رئاسة المتصرفين وفي الأقطاية تحت رئاسة القوائم مقامين). وأعضاء الغرفة ينتخبون من بينهم رئيساً أول ورئيساً ثانياً بالأكثرية المطلقة ويعرضون هذا الانتخاب على النظارة لتجيزه.

مدة العضوية (ولقد استعمل القانون في هذا المقام لقنة وظيفة الأعضاء على أن عضوية غرفة التجارة ليست وظيفة من الوظائف) ثلاثة أعوام ولم يكن يجوز إلى تاريخ ١ كانون الثاني لعام ٣٠٥ تجديد انتخاب العضو قبل مرور سنة على انقضاء عضويته السابقة

ولكن المادة المعدلة في هذا التاريخ جوزت تجديد انتخاب العضو غب انقضاء المدة. ومن لا يحضر الجلسات مدة سنة أشهر يعتبر مستقلاً وإذا توفى أحد الأعضاء أو استقال أو حكمة عليه بجناية أو جنحة تنتخب لجنة الانتخاب غيره عند حلول أول اجتماعها ويتم العضو الجديد المدة الباقية لسنقه. وإليك واجبات الغرفة التي ذكرها النظام الأساسي وهي إبلاغ المواد الآتية رأساً وتحويراً إلى نظارة الزراعة والتجارة:

(١) وسائل ترقية الصناعة.

(٢) ما يجب على النظارة القيام به من الإصلاح والتحوير.

(٣) الأمور التي من شأنها ترقية التجارة: تعارف الحمارك، والأشغال العامة (الأمور العمرانية والمنفعة)، المراسي، الملاحة في الأنهر، أسلاك البرق، السكك الحديدية، فتح الطرق والشوارع، تأسيس دور البورصة، إصدار الجرائد التجارية.

وفي النظام صراحة بأن الغرف مطالبة بإحداث سجلات وقيود منتظمة لكل ما له علاقة بالأعمال التجارية من أموال والمسكوكات والإسهام ومما يقضي به نص القانون إلزام الغرف بالإجابة على أسئلة النظارة مؤيدة أجوبتها بهذه السجلات والقيود موقعة عليها بختم الغرفة.

ولغرفة التجارة الحق في وضع نظامها الداخلي كما هو مصرح في إحدى مواد نظامها الداخلي المترجم عن نظارة عام ١٨٣٩ الفرنسي وقد عنت بموجب هذا الحق وسنت نظامها الداخلي إلا أنها دفعته إلى الدوائر الإيجابية ثم قرنته بإدارة سنية بلا ضرورة نظامية.

يعبر النظام الداخلي غرفة التجارة مصدر الأخبار التي تصل بنظارة التجارة عن التجارة والتجار ولصلة بين الحكومة والتجار في الأعمال التي تجري بينها.

والواجبات الأساسية على الغرفة هي البحث والتنقيب عن المصالح التجارية والصناعية والوسائل التي تؤول إلى ترقية الصناعة والتجارة والتذرع بها وعن العوائق التي تحول دون تقدمها وإبلاغ الحكومة ما تعثر عليه الغرف من نتائج البحث والتحقيق للغرف الحق بإجراء الأمور الآتية عدا عن الواجبات التي سبق ذكرها آنفاً والتي ذكرت في النظام الأساسي:

أولاً- تدعو الغرف التجارية التجار وأصحاب المصارف (البنوك) والمعامل ليجنوا أسماؤهم في دفتر الغرف الخاصة والدعوة تعلن بنشرات عامة أو في الجرائد.

ثانياً- تسجل سفر التجار (المجلة أسماؤهم عندها) وقدمهم وإفلاسهم واسترجاعهم الاعتبار التجاري (بعد الإفلاس) وإذا حكم على أحدهم ظناً أو اتماماً بمنحة أو جنابة يسجل أيضاً هذا الحكم في الدفتر الخاص لهذه الوقائع.

ثالثاً- تصدق مجاناً الكفالات وأوراق الشهادات والتقارير ومقدرة الكفلاء فيما يتعلق بالأمور التجارية.

رابعاً- تجنب محال الإيجاب بواسطة نظارة التجارة أوراق إقامة الحجة البرتستو التي تنظم بحق التجار وأصحاب البنوك والمعامل لعدم تأديتهم اليونويات والسندات المخررة للأمر والسفاتيح الموقعة بتواقيعهم.

خامساً- تستخ في دفتر خاص عين الصكوك والعقود التجارية والصرافية والبحرية والصناعية والعمرانية المتقدمة خارج المعرفة عند طلب الفريقين المتعاقدين.

سادساً_لغرف التجارة الحق في إبداء ملاحظاتها في تجديد قانون التجارة وتصحيحه والنظامات التي لها علاقة بمحاكم التجارة وفي تأسيس غرف التجارة في الولايات ودور البورصة وتوظيف الدلائل وكبار الكامير وسن تعرفات لندلة وقوانين لها ولغيرها من الأمور التجارية التي يجب أن يكون لها تعرفات ونظامات وفي البنوك والأعمال العمرانية. قصت المواد المؤرخة في ٧ ائرم لعام ١٢٩٩ أو ١٨ تشرين الثاني لعام ١٢٩٧ المذينة لنظام الداخني للغرف التجارية بأن تنظم الغرف التجارية أوراق الشهادات بالكفالات التي تقدم إلى الدوائر الرسمية واأاكم التجارية والحقوقية باسم التجار وأن ترسل إلى محل المزايمة مأموراً تننبيه ليأضر الأجز والمزايمة للأموال وتقدير القيم من قبل الأبراء إذا كان ذلك بأقرار من الأكمة. ومن أمة ما تقتضيه المواد المذكورة إلزام الدلائل والوسطاء (سماسة التجار) بسأيل أسماءهم في الغرفة التجارية وأن يأأذوا منها أذاكر بأأراء صناعتهم وأن لا يقبل في المزايمة والمناقصات لندوائر الأميرية إلا التجار والدلائلون الذين بيأهم شهاةات بأقم مسأنون في دفاةر الغرف التجارية وأن يكون تسطير صأائف دفاةر التجار ووضع إشارة (صأ) عليها من قبل الغرف وقد أعيد بعد ذلك أأ كتابة صأائف دفاةر التجار ووضع إشارة (صأ) إلى مأمر المأاولات كما في السابق. والمنع الذي ذكر قبل المادة الأخيرة لم يرأع إلا أئياًلاً.

* * *

سبق أن أأضاء غرفة التجارة الإأسبولية أربعة وعشرون وذلك بمأاضي النظام الأساسي. وأما تأليف غرف التجارة في الولايات من اثني عشر أعضواً وفي الألوية من سنة أأضاء

والأقضية من ثلاثة فهو من أحكام المقررات وأعضاء الغرف يجب أن يكونوا من تجار أحد الطبقتين: الأولى والثانية المسجلة أسماؤهم في دفتر الغرفة هم أصحاب المصارف وهؤلاء يدفعون للغرف خمس ليرات كل سنة. والصنف الثاني من التجار المسجلة أسماؤهم في الغرفة هم الذين يؤدون ثلاث ليرات سنوياً والصنف الثالث منهم يدفعون ليرتين والرابع ليرة واحدة عن بدلات الاشتراك والشركاء الذين لهم توقيع واحد يعتبرون تاجراً واحداً. والتجار يسجلون أولاً أسماؤهم في دفتر الغرفة ثم يعتبرون من أحد الأصناف الأربعة بقرار من الأعضاء ويحق للأعضاء المسجلة أسماؤهم في الصنفين الأول والثاني أن ينتخبوا أعضاء لغرفة التجارة كما أن الأعضاء الموقتين في المحاكم التجارية والخبراء والمحامين لبعض الدعاوى والأشخاص الذين يفحصون الدفاتر التجارية يجب أن يكونوا من الصنفين المذكورين.

(المواد المذبذبة).

تجتمع أعضاء الغرف التجارية في الأسبوع وإذا اقتضت الحال يعقدون اجتماعات غير عادية بدعوة من الرئيس أو بطلب كتابي من ستة أعضاء وبعد نصب الرئيسين الأول والثاني ينتخب الأعضاء من بينهم بأكثرية الأصوات مشاورين أولاً وثانياً لسنة وأميناً عاماً للصندوق. وما عدا هذا يجوز أن يكون للغرفة أمين صندوق بكفالة وكتبة لنتريكية الفرنسية وسواهم من الموظفين والمتعلمين وتجري مذكرات الغرفة بحسب ما تقتضيه أعمالها اليومية وقبل إرفاض الجلسات تنظم الغرفة يومية المذكرات عن الاجتماع القادم. وعلى الرئيس إعلام الأعضاء كتابة بأيام الاجتماع. ولا تبرم القرارات إلا إذا حضر الجلسات اثنا عشر عضواً ولكن تجوز المذكرات إذا اجتمع أقل من ذلك وتكتب

الآراء والملاحظات التي يذكرها الأعضاء في أوراق الدعوة للجلسة القادمة والأعضاء الذين لا يحضرون ثانياً أن يقبلوا رأياً من هذه الآراء ويبغوه إلى الغرفة كتابة وإما أن يحضروا الجلسة المعنية في أوراق الدعوة ويعربوا عن آرائهم الذاتية وإذا خالفوا في أجوبتهم الكتابية آراء الأعضاء ولم يحضروا أو أقام لم يجيبوا الدعوة كتابة ولم يحضروا الجلسة بتاتاً تعرض الغرفة عن آرائهم ويبرم القرار ولو لم يبلغ الأعضاء المقدار المعين.

وللغرفة حق في تعيين لجان مؤلفة من غير الأعضاء للنظر في بعض المسائل ولا يجوز أن يتجاوز عدد أعضاء هذه اللجان الستة وتتدب الغرفة أحد أعضائها لينضم إلى اللجنة ويقوم بوضع لائحة تتضمن نتائج البحث عن المادة الخولة إلى اللجنة.

وللرئيس الحق في تأليف لجنة للبحث في المواد الجديدة بالقبول المبلغة إلى الرئيس تأليف من ثلاثة رجال ينتخبهن الأعضاء ويقضي النظام الأساسي بأن تكون مداخيل الغرف التجارية عبارة عن بدلات الاشتراكات التي يدفعها التجار وبعض الرسوم (ولم يذكر صاحب المقالة هذه الرسوم) وما زاد على نفقات الغرفة من المداخيل يجوز إنفاقه بقرار الغرفة وإذن الحكومة معاً على إنشاء مدارس وجرائد تجارية؛ ولكن يرصد منه مبلغ لا يقل عن مئتي ليرة لأحوال طارئة. والغرفة مكلفة بتنظيم ميزانيتها لأخر كل سنة.

وهذا تعريب نص إحدى المواد الانتهائية:

(تعرض الغرفة التجارية على أنظار مراحم الحكومة الجوائز لذوي الاختراعات الصناعية التي ينجم عنها منافع عامة).

إن النظامين الأساسي والداخلي لغرفة التجارة المعدلين بمقررات من شورى الدولة لاستحالة تطبيق موادهما على الولايات محتاجان إلى تعديل مهم يجب إدخاله عليهما: أولاً: إن النظام الأساسي لغرف التجارة مختصر كثيراً وخاص بالعاصمة وثانياً إن كثيراً من مواد النظام الداخلي يجب إدخالها في النظام الأساسي ولذلك يجب مزج لنظامين المذكورين ومراجعة آراء الغرف التجارية في العاصمة والولايات وتدقيق النظمات الأوروبية ثم بعد ذلك يجب على نظارة التجارة سن لائحة قانونية لعرض على مجلس الأمة في اجتماعه القادم.

ولا شك أن الفوائد التي تنجم عن إنشاء الغرف التجارية على أسس حقوقية والواجبات وتنسيقها بحيث تكون مثلة للتجار وثابتة عنهم تكون عظيمة. وبعد قبول مجنسي الأمة والأعيان اللائحة المذكورة واقرارها بإرادة سنية يجب الشروع بالعمل بها دون تأخير ومن الضروري إعطاء حق وضع النظام الداخلي للغرف نفسها بشرط أن لا يكون مناقضاً للنظام الأساسي ويجب أن تسجنه الغرفة في نظارة التجارة.

إن تعريف الغرف التجارية المذكور في النظام الداخلي ليس بتعريف يضمن كرامتها ولذلك

من الضروري إدخال قيد يتضمن للغرف المذكورة حق الدفاع عن المصالح التجارية وصيانتها وبذلك فقط تعنو مكانة هذه الأروضاع.

ويجب تأسيس غرف تجارية في كل حاضرة من حواضر الولايات كما هي الحال في فرنسا وأن يكون تأسيسها في مراكز الأثوية والأقضية غير محتم وإذا ارتأى التجار أو الحكومة

تأسيسها في الألوية أو الأقضية يجب أن يكون ذلك بعد موافقة الحاكم التجارية في مراكز الولايات والألوية والأقضية أو موافقة الغرف التجارية في مراكز الولايات والألوية.

يجب إعطاء الرخصة بتأسيس الغرفة من قبل الولاية وإعلام نظارة التجارة بواقعة الحال.

ولا حاجة بحسب النظام الحالي لتصديق انتخاب الأعضاء من قبل الحكومة ويجب أن تبقى الحال كما هي اليوم ولا أرى أيضاً أن يتوقف انتخاب الرئيس على إجازة الولاية والمتصرفين والقيم مقامين بل يشترط على الرئيس الذي ينتخب أن يكون من الوطنيين.

وللأعضاء المراسلين في بلادنا أيضاً شأن كبير ولذلك يجب أن يكون للغرفة أعضاء مراسلون من البلدة التي أسست فيها الغرفة وهي تنتخبهم ويجب أن يحضروا الجلسات ويستضاء بآرائهم في بعض المسائل كما أنه من الضروري أن يكون للغرفة أعضاء مراسلون في الولايات والبلاد الأجنبية. ويجب أيضاً توسيع حق الانتخاب وإعطاؤه لكثير من التجار والصناع الذين يؤدون رسوم التمتع وعملاً بهذا المبدأ يجب العدول عن القاعدة التي تقضي بأن يكون تعيين النصف من أعضاء لجنة الانتخاب من قبل الحكومة والنصف الآخر من قبل التجار وأن يكون حق الانتخاب للعضوية مشروطاً بالأحوال الآتية. أن يكون المرشح للانتخاب مقيماً منذ مدة معينة في البلدة التي تقام فيها الغرفة مشغلاً هذه المدة بصناعة أو تجارة (بكل ما تشتمل هاتين الكلمتين من ضروب الأعمال) ومن الذين يؤدون ضريبة التمتع ومن ذوي الأشراف والاستقامة.

أما مسألة الجنسية العثمانية فقد سبق أن هذا الشرط غير مصرح به في القانون الفرنسي ولكنه مرعي في الانتخابات وأما عندنا فلم تشترط التابعية العثمانية على الأعضاء فمنهم الأجنبي ومنهم العثماني على السواء. ويجب أن تظل الغرف على هذه الحال إلى حين

ولاسيما وأن التجار الأجانب المقيمين في بلادنا منذ مدة طويلة قد درسوا شؤون بلادنا حق الدراسة وإذا أضفنا إلى ذلك مقدارهم العلية وسعة إطلاعهم ووفرة بحثهم تبين لنا أنه يستفاد منهم إذا كانوا بين أعضاء غرفنا التجارية إنما يشترط على أولئك الأعضاء الأجانب إقامتهم في بلادنا مدة لا تقل عن عشر سنين مشغلين خلالها بالتجارة.

جاء في نظام غرف التجارة أن لها الحق في إنشاء مدارس وجرائد تجارية ويجب أن يكون لها الحق أيضاً بتأسيس غير ذلك من الأوضاع التجارية وأن تتمتع (إذا رغبت) القيام بالأمور العمرانية على طريق الامتياز ولكن الواجب أن تكون خاضعة للشروط التي تشترط على غيرها من أصحاب الامتيازات.

ولا يمكن لغرفنا التجارية أن تقوم بالأعمال التي تزول إلى ترقية تجارتنا ما لم تتوفر في ميزانيتها المداخل وإلا فإن محافظة الحالة الحاضرة تقضي بأن تظل مداخيلها تكاد لا تساوي النفقات الجارية السنوية مما لا يجوز البقاء عليه أبداً.

فيجب تقسيم الشركات الأنونيم على درجات معينة وإلزامها بتأدية مقادير مقررة سنوية تعين بحسب هذه الدرجات. ويجب أن تقرر درجات التجار بدر ما يدفعون من ضرائب التمتع لا بمجرد رأي الغرف وتقديرها. ومن اللازم إلزام تجار أصحاب هذه الدرجات كافة وإلزامهم بتأدية الضرائب السنوية.

* * *

لم يتصل بأحد إلى هذا العهد أن الغرف التجارية قامت منذ تأسيسها بمشروع يرفع مكانة التجارة في هذه البلاد. ولقد غابت هذه الغرف حيناً من الزمن ثم عادت تظهر في مظهر الحياة ثم أفنت بعد الشروق أفولاً لا طنوع بعده أو عاد بعضها بعد طول الغروب ولم

تكن أعمالها في الغالب إلا عبارة عن تسويد القراطيس أو إبداء بعض الآراء التي لم ينضت إليها. ولم تنتف الغرف التجارية إلى إنشاء مدارس أو صحف تجارية البتة. ولا تلقى تبعه هذا الإهمال على الغرف التجارية بل على الحكومة السابقة. ولقد سبق أن بعض الغرف التجارية طلبت مرات عديدة إصلاح الأصول الرسومية وتسهيل المصالح التجارية دون أن تتجاوز إلى طلب إنشاء أوضاع جديدة ولم تشتر هذه المراجعات قط.

ولما ينس التجار من الاستفادة من الغرف التجارية تخلو عنها ولم يعودوا يؤمنون بأوابها وقطعوا عنها روايتهم السنوية وما يدلنا على درجة ارتباط التجار بغرفهم هذه مداخليل غرفة القسطنطينية قبل عشر سنين فإنها كانت في ذلك الحين ضعفي مداخيلها اليوم.

هذه الأحوال من جهة وكون انتخاب الأعضاء لغرفة التجارة في العاصمة لم يكن كما وضعه القانون بل كان بيد نظارة النافعة تمنح العضوية من تشاء على نحو ما كانت تجري القاعدة في الإحسان بالرتب والمناصب من جهة أخرى كل هذا وذاك ليس من الأمور التي تروح إليها نفوس التجار أو تطمئن بسببها قلوبهم إلى لغرفة التجارية.

التجار أكثر وأسرع من جماع طبقات الأمة معرفة وشعوراً بالانقلاب الكبير الذي يسري إلى شؤوننا العامة. ومع ذلك فإن حياة حرية التجارة قائمة بتوطيد دعائم الأمن ومتى اطمأن جمهور التجار إلى أن مصالحهم الأصلية مصونة يحذر بنا الاعتناء عليهم بحيث لا يغادرون مثقال ذرة من واجباتهم ومن الواجب على الغرف أن تطنب من الحكومة بمجد ومضاء تحديد نظام الغرف وتعديله وأن البحث بحثاً مدققاً في ضروريات التجارة ونواقصها في الحال التي تنتسب إليها وتدفع بآرائها وملاحظاتها إلى نظارة التجارة وأن توجه همتها إلى إنشاء المدارس والصحف التجارية والدروس النيلية التي تكفل توسيع

دائرة العنم بين أرباب التجارة. كل ذلك حقيق بالمفاداة ولا شك أن الأعمال المعروفة في هذا السبيل تكتل بالنجاح.

ويجب أن تكون غرفة القسطنطينية التجارية نموذجاً لسائر الغرف وأن تدفن العنات الماضية فتجعلها نسياً منسياً: يجب أن تقدم هذه الغرفة بفتية الأفكار وتدخل الإصلاح الحقيقي إلى مجنتها المدرسية وغير منكر أن هذه الصحيفة التجارية الوحيدة في البلاد العثمانية لا تفي بالحاجة بمقالاتها التي لا تتجاوز العمودين وبقراها المترجمة بل يجب على غرفة القسطنطينية أن تتخذ مجلة غرفة التجارة الفرنسية مثلاً وتحو نحوها فتشئ على منوالها صحيفة تجارية جامعة لأخبار التجارة الداخلية والخارجية الجديدة المفيدة والموضوعات الأساسية فإذا لم تقم غرفة القسطنطينية بهذه الأعمال ولم تأت بالآثار الدالة على رقي صحيح لا تنال مكانة أرفع من مكانتها في دورها السابق.

أما التجار المجنة أسماءهم في دفتر غرفة القسطنطينية فهم (٤٧) من الصنف الأول و (١٠٧) من الثاني و (٢٤٠) من الثالث و (٥٠) من الرابع وقد يوجد بين تجار الصنفين الثالث والرابع من يجب أن ينظموا بين تجار الصنفين الأول والثاني وبين التجار الذين لم يسجلوا أسماءهم في الغرفة كثير يجدر بهم الانتظام في إحدى الدرجات الأربع. والأمل وطيد بترقي مداخل الغرفة ولو بقيت على أصول تصنيف درجات التجار على حالتها الحاضرة.

وتبلغ مداخل غرفة القسطنطينية وحدها (ما عدا مداخل جريدتها ونفقاتها) ١٧٥. ٣٢٦ قرشاً صحيحاً تنفق في مقابلة ذلك ٤٣٥٣٢ قرشاً على رواتب موظفيها و ٢١٧٣٩٠ قرشاً على النفقات المتفرقة و ٢١٦٠٠٠ على أجور داره ونحوه. فالنفقات

الإدارية وحدها تتجاوز دخل الغرفة ولا ينفق على المشاريع النافعة من مداخيلها بارة واحدة وما حالة غرف التجارة في الولايات بأشقى لنصودر وأوف للألماني من غرفة القسطنطينية ولقد رغبت أن أعرف عدد غرف التجارة في الولايات والألوية والأقضية من القود الرسمية فماذا رأيت؟ .

رأيتني أمام كمية تستحق العجب: في بلادنا مئة وخمسون غرفة تجارية على أن عامة غرف التجارة في فرنسا لا تتجاوز المئة والعشرين.

وبما أنني اعتبر الغالب من هذه الغرفة المقيدة في الدفاتر حبراً على ورق ولا أصدق أن الفهرس الذي أنقل منه متقارناً للنصحة.

وللأجانب في بعض المراكز التجارية العثمانية غرف تجارية ففي القسطنطينية غرف تجارية إنكليزية وإفرنسية وطينية وغمسوية وألمانية ويونانية ولكل واحدة منها نظام داخلي ولتفريتين الإنكليزية والفرنسوية مجتاتان بلسان قومهما. استت غرفة التجارة الإنكليزية في سنة ١٨٨٧ ولها رئيس وثمان أعضاء وعضوان خارجيان وعضوا شرف وكاتب وأمين صندوق وأربعة كتبة شرف في سلانيك وأزمير ومنشستر ولندن ولهذه الغرفة مراسلون في سلانيك وأزمير ومنشستر ولندن والولايات العثمانية. ولها مجلة يبيع حجبها ستاً وثلاثين صفحة كبرى جامعة لمقالات في التجارة الإنكليزية العثمانية والأخبار والإحصاء. وفي أزمير أيضاً غرفة تجارية إنكليزية.

ويشترط في عضوية الغرف التجارية الإنكليزية الاشتغال بالتجارة أو بالصناعة أو الشؤون المالية ويشترط على العضو أن يكون إنكليزياً أو من وكلاء المعامل الإنكليزية في البلاد العثمانية.

ورئيس الشرف لغرفة التجارة الفرنسية هو قنصل فرنسا لعام ولها لجنة إدارية مؤلفة من تسع أشخاص في جناح قلعة ولجنة أخرى مؤلفة من تسعة عشر شخصاً في بورصة ولها مراسلون في سبعين بنداً داخل البلاد وفي الخارج لها من يخبروها في روسيا وفارس ورومانيا والصرب واليونان.

وتصدر هذه الغرفة شهرياً مجلة في سبعين أو ثمانين صفحة منذ اثنين وعشرين حجة بلا انفصال. وتدعى هذه المجلة مجلة الشرق التجارية. وهيب جامعة للأخبار والمقالات المفيدة للغاية وإني أتمنى أن تعلن مكانة غرفتنا التجارية إلى منزلة غرفتي التجارة الفرنسية والإنكليزية وأن تقدم جريدتها تقدم الجرائد اليومية.

ما بين النهرين:

تعريب ز. خ.

آلاسكا والاسكاويون

آلاسكا جزيرة تنيف مساحتها على مساحة فرنسا ثلاثة مرات أصبحت الآن معتركاً حيوياً جديداً لبني البشر إلا أن وعورة المسالك واختلاف الهواء بها ترك أربعة أجناس من أرضها في عداد الجاهل.

وقد كانت هذه البلاد الواقعة في أقصى الغرب الشمالي من أميركا الشمالية والمنفصلة عن قارة آسيا بمضيق بهرنغ مستعمرة لندولة الروسية فباعتها من حكومة أميركا.

إن البحث لم يهتد إلى شيء مهم فيما يتعلق بالسكان الأصليون من وجهة علم الأنساب بل ظل أكثره إن لم نقل كله ناقصاً مبهماً. فالشعوب النازلة سواحل البحر قد تمكن بعض المرسلين من درس أحوالها أما التوغلة في الداخل فاكفى العلم بأخذ روايات من ارتادوها

من الذين ضربوا في عرضها للتنقيب عن معادن الذهب أو لصيد بعض الحيوانات التي ينتفع من جنودها للفراء السيئة. وكلا الفريقان لما لا يعول على قولهما ولا يرجي أن يفيا البحث العلمي حقه أو بعض حقه.

ويستل من آخر إحصاء لسكان هاتيك البلاد الذي جرى سنة ١٩٠٠ للميلاد أن عددهم (٢٩٥٣٦) نسمة يدخل فيهم الأسكيو ولكن ذلك مما لا يصح الاعتماد عليه لأسباب جهة أهمها أن أغلب تلك الشعوب من الرحل ولم يتيسر الوصول إلى بعضها لوعورة المسالك كما ذكر. أضف إلى ذلك ما دفعته إليهم المدنية الأوروبية من آفات كالجدري والسل والزهري وداء السكر بعد اكتشاف مناجم كنونديك الذهبية فإن هذه الأمراض الفتاكة فعتت وما زالت تفعل في الأهليين ما لا يفعله الأسل حتى أن كثيراً من القرى خوت على عروشها وأصبحت قاعاً صفصفاً قب انتشار داء الجدري انتشاراً مريعاً من وراء الغابة. ولهذا يتراءى لي أن عدد السكان تنازل إلى الخمسة والعشرين ألفاً وهم يقسمون إلى فريقين فالأول يضم إليه شعوب شينكا وياكوتا وهيداج وأباوت وأوك الذين يثقون في الجنس والنسل. والثاني شعب واحد يدعى دنا ويختلف عن الأول باعتبار عدم أصل الشعوب وسلاتهم وهو يتزل البلاد الواسعة التي تمتد من خليج الهودسون إلى قلب ألاسكا على أن هذا التقسيم المبني على عدم ناقص لا يلتفت إليه ولا يعمل به إلى أن يقوم عناء الإنسان بالتبع العلمية والبحث الكافي ويثقوا على ذلك شأنهم في مكان أميركا الأصليين.

والذي يزيد المستطع إشكالاً في أمرهم مشاكلتهم بعضهم بعضاً حتى أنك لتخالطهم من عنصر واحد لاتفاق أزيائهم وأخلاقهم ومهما كان النقاية دقيق الفكر بعيد الزر لا

يمكن من النقد الصحيح والتمييز المصيب فنحبهم الآن قوماً واحداً وندرس أحوالهم الاجتماعية.

يجد القائلون بأن سكان أميركا الصليين من المغوليين الذين هبطوا أميركا عن طريق خليج بمرنغ وصخور الأوروسيك من الوثائق ما يقوي حججهم وبرهانهم. لا جرم أن جولف استرايت الذي وصل إلى سواحل ألاسكا بعد اجتيازه جزر اليابان هو الذي نفخ في الساحنين من شرقي آسيا روح الجرأة والإقدام على ارتياد هذه البلاد حتى أصبح أمر إحدى السفن الشراعية اليابانية التي جرفها التيار الحار سنة ١٨٣٣ ميلادية ودفعها إلى ساحل ألاسكا مشهوراً لأن البرابرة وفي الأصل اليوم يام جعلوا منها مائدة كانت عيداً لأولهم وآخرهم.

أما الآن فقد وضع الحق وظهر ما كان باطناً من أن ألاسكا كانت مأهولة بالسكان في أزمنة ما قبل التاريخ كآثر أخوانها من البلاد الأفريقية ويثبت هذه الحجة ما تراه الآن في عادات الأمكاويين وأخلاقهم وطبائعهم ولغتهم فإن كل هذه لم تكن عليها مسحة تدل على أنها آسيوية.

ونحن نتوخى في عجالتنا هذه البحث عن حالتهم الأصلية قبل أن يمازجها ما اكتسبه من الاحتكاك بالأوروبيين فنقول أن هؤلاء قد اجتازوا دور التكامل البدائي لبشر وتباعدها ما أمكن عن الهمجية حتى صاروا أقرب إلى البداوة منهم إلى الوحش قبل أن تطأها أقدام المكتشفين الروس.

وترى لهم في البلاد الساحلية الآن البيوت الواسعة القوراء وبعض المصايف والقصور التي أقيمت على منوال الأوربيين وبالإجمال فهم أرقى عنصراً وأوسع مدارك من شعوب البوروج الذين ما زالوا ينسجون جنود البهائم.

والغريب في أمر هاته البيوت الفطرية أنها على اتساعها وقد يختلف طولها بين المائتي متر وعرضها بين الخمسة عشر والعشرين متراً تكفي لإيواء عائلات كثيرة معاً ومع هذا لا ترى فيها نافذة خلا بعض الثقوب في سقفها لانبعاث الدخان المتصاعد من المواقد واجتذاب نور الشمس إلى الداخل ولم يكن فيها ما يصلح في الخارج سوى بعض الأبواب كذا أن سطوحها لم تكن مائلة من طرفيها كما هو الحال في غير بنايات بل لها ميل قليل يكفي لتسيط مياه المطر على الخارج وتنفذ هذه السطوح خطباء القوم فيرتقونها ويتخذونها منبراً عند الحاجة.

وتبنى هذه البيوت من عيدان الحطب التي لم تصقل ويقطعونها بمقاطع خشبية لأن الحديد الذي فيه البأس الشديد والمنافع الجمة للناس لم يعرفوا به بعد.

ويعتاضون عن الحديد بقرون نوع من الحيوان يسمى عندهم وايشي أو بقواطع من شجر البابل وفي الشتاء حيث يهجم الفلج يخينه ورجله يضيفون إلى البنايات الداخلية طبقة من رفيع القصب ويمثل ذلك أيضاً يفرقون البيت أيضاً عن أخيه فيكون دساً بين العائلات التي تأوي إليه.

أما أثاث هذا البيت البدائي فهو موافق له كل الموافقة فلا تجد فيه من الرياش ما يضيق معه الرحم بل هو في منتهى البساطة وهناك مقاعد خشبية تحت الفراش أو هي أسرة النوم على طول جدار البيت والفراش هو من السل قش الحصر وقد زيد في نشجه عند

موضع الرأس حتى أشبه بالوسادة كما أن غطاءهم أو لحافهم من جنود الغزلان المدبوغة أو نوع من الكلاب الجعدة الشعر وقد أوشك نسئها بالانقراض بينهم.

لهؤلاء البائسين الذين يطلق عليهم اسم همج بعض صناعات لو أنصف المطنعون عنها لقالوا بكبر عقولهم ورقة شعورهم وقد ترى بعض الصناديق من صنعهم على حين لا يعرفون المسار ولا رأوا آلات التجارة. والحدادة غاية في الضبط وآية في الدقة وطول هذه الصناديق متر وعرضها ستون أو سبعون سنتراً وعقها سبعون أو ثمانون سنتراً.

وصف أحد المراسلين صناعتهم هذه بقوله أنهم يأتون بخشبة من شجر الأرز ويشقونها على أربعة وجوه ثم يصقلونها ما أمكن وينقونها جيداً فيكون منها زوايا الصندوق الثلاث ثم يخطون طرفا الخشبة الداخيتين بخيطان قوية من جنود الوعل يدخلونها بالمسنة الإبرة المصنوعة من قرون نوع آخر من الوعل فتحصل معهم الزاوية الرابعة أما أسفنه فإنهم يجمعونه من قطعة واحدة من الخشب وله حافة تتصل أطرافها بالزوايا الأربع فيخاط كذلك بدقة غريبة حتى أنك لا تجد فيه عوجاً ولا أمتاً. ويكون غطاء الصندوق من قطعة واحدة أيضاً يمدونها على شقوق الزوايا المتناظرة فيتم الصندوق الذي يعد من بدائع الإبداع. وبعد

أن يحفروا على الغطاء شارة العائلة أو الفريق ويدهنونه بنون مناسب يضعون فيه الملابس القيمة والفراء الشينة التي تنبس في الأعياد والمناسبات.

ويبلغ الشتاء أشده ويقرص البرد في بعض بلادهم فيتقون بأسهنا بحفر مستديرة يفتحونها في بطن الأرض على سعة متر أو مترين كبيوت الأسكيمو وهناك يختبئ العشرون أو الثلاثون منهم مجتمعين فيحصل الدفء بينهم.

وتعنو هذه الحفر أكواخ حقيرة ليس لها من التوافد إلا واحدة في رأسها هي لنجاسة والذهاب والهواء والنور أما سبيلهم إلى هذه الأنفاق فهو عمود من خشب نقروه حتى تنأت منه أرجل أشبه بالسلم.

وقد اتفق الأمكاويون على عادة غريبة جرى عليها أغلب الأقوام الفطريين وبينهم هنود أميركا الوسطى والجنوبية وهي عزل البنات النواقي ينفعن أشدهن والنساء اللاتي في الخيض في أكواخ خاصة هن حتى يطهرن ولو جردنا صناعة السلال الدقيقة التي يصنعونها من رفيع القصب نجد كل صناعاتهم ساذجة لنفاية. نعم إنهم يحكون بعض الأقمشة الخشنة من خيوط خاصة يستخرجونها من ألياف شجر الأرز ويخنطونها بأصواف وعول صيفين وكندا وأصواف الكلاب التي مر ذكرها فيتكون عندهم منها نسيج متين يفي بحاجتهم إلا أن ذلك مما لا يعد صناعة نافعة.

وهذه الكلاب هي من الحيوانات الداجنة التي يمكن أن يقال عنها أنها وحيدة هذا القوم فهم يتفنون من جنودها وأصوافها وتفيدهم في صيدهم وجر عجلائهم على الجنيد ولكنها وبالألف قد أوشكت تنقرض كما ذكرنا وقل نسلها قللة يخشى من وراثتها.

ولنسلال التي أشرنا إليها شهرة واسعة عند أهل الإخصاء في جميع شتات الآثار ورائع الصانع وهي أهل لأن تكون كذلك لأن عملها جميل متقن وعلى الرغم من أنها لم تطل

بطبقة صغية فقد تجدهم يستخدمونها في امتياح المياه من الآبار ونقلها ولا يرشح الماء من هذا السجل الدلو أو السلة أبداً.

والأغرب من هذا أن النبات الذي يسجل في صنع هذه السلال يختلف باختلاف الشعوب إلا أن أرقها وأدقها ما كان من ألياف شجر الأرز ويوجد من هذه السلال ما أربى عمره على خمسين عاماً تتداولها الأيدي صباح مساء أما صانعوها فإنهم من النساء على الأعم.

وللنساء ولع خاص بالزينة والتبرج فيذهبن مذهب الماديين حتى أن المقارنة النسبية بينهما على هذه الوثيرة.

وتلقى ذلك ظاهراً كل الظهور في بعض الشعوب فترى الأب لا يهين على ابنة أو سبطه إلا حين تزوجه من امرأة يئنا يكون للشباب الخيار بقبول الابنة التي انتخبها له والده أو رفضها.

أما ما يتعلق بوجود القرابة بين المرأة وزوجها فلم يكن لها من قاعدة مألوفة أو خطة مرسومة بل ترك ذلك لاجتهاد كل فريق منهم. فقد ترى لدجى بعضهم جوازاً بزواج أبناء العم بينما تلقى زواج فقي وفتاة خاضعين لزعيم واحد من المخطورات عند آخرين فالأولين لم تمنعهم لحة النسب من الزواج والآخرين منعتهم صنة التبعية فقط.

وتجد الزواج عند بعضهم كأنه اتفاق وقفي أو هو أقرب إلى الاستئاع منه إلى الزواج والأنكى من كل ذلك أن شرعتهم قد تركت جبل الرجال على غوارهم وأحنث لهم افتراس أية امرأة في حيمهم. نعم إنهم اشترطوا في ذلك أن يتبارز الشاب الطالب مع زوج المرأة المطلوبة برزاً لا يتخذه سفك دم لأن لا سلاح لديهم فإذا ما غلب الأول الثاني

عنى أمره وطرحه أرضاً جاز له التصريف المنق في امرأته. ولكن ماذا يفيد هذا الشرط وهل يغني عن الحق شيئاً ما دامت الغلبة للقوة؟ وإذا كانوا الزوج الأول ممن يعتقدون قوة خصمه ويستكف عن مبارزته فيحق حينئذ لذلك الخصم أن يذهب إلى بيت الأول ويدعو امرأته إلى النفاق به وهنالك لا يسع صاحبتا إلا الجري وراء زوجها الجديد البطل والدخول في داره وحرمه ويظل الأول متزويماً في إحدى زوايا بيته ينظر إلى هذه العادة الغريبة شرواً وقد اعتراه اليأس وأشبه الهرة التي كسرت إناء الحليب.

ويقوم الزوجان على أن يملك كل منهما ماله من أثاث البيت ورياشه إن كان هناك ما يقال له أثاث ورياش ولا يجوز لهما أن يشتركا في كل شيء من أنواع القنيات ومتى توفي الزوج الرجل يسترد ذور قريابه ما كان له في الدار من مال ومتاع أما إذا سبقت المرأة زوجها إلى الموت فلا يكفي أنها بأخذ ما لها في البيت فقط بل هم يضطرون الزوج إلى إعطاء هدية ذات قيمة لتكون عزاءً وسلواناً لهم على فقد ابنتهم.

ومتى فاجأ الحامل المخاض يدخلها بعض النسوة العجائز الحاضرات غرفة خاصة وبعد ولادتها يغسلن الطفل بالماء الفاتر ويرششن على جسمه مسحوق شجر الأرز ثم يضعونه في سلة على شكل سرر الأطفال ويعلقونها في دعامة البيت الخشبية أو غصن من أغصان الشجر وهذه السلال أو السرر مصنوعة بحيث يتسنى للأم أن تحملها على ظهرها أثناء مشيها.

ويخرج الطفل من سريره مرتين في اليوم على الأكثر لأخذ إفرأته وتبقى هذه السلة عشاء إلى أن يدرك حد الفطام والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ومتى أمعنها يدرج

الطفل من عشه أو سجنه وتذهب الأم في ذلك السرير إلى جهة نائية من الحرج فعلقه في إحدى الأغصان تقدمه إلى الملك الموكل بحفظ ذلك الوليد طول حياته.

وهناك بدعة سيئة يجري عليها بعض الشعوب في أطفالهم. فهم يلقعون رؤوسهم عقب اليوم الثالث من ولادتهم بعمامة من قشور الشجر وهذه العادة القبيحة التي تغير من شكل عظم الرأس وقصره وتشوه الخنقة هي في عرفهم علامة خاصة بالنبلاء. ثم يتلو ذلك التلغيع يوم خاص يجتمع فيه لفياف الأسرة أو يقيمون حفلة حافنة بتسمية اسم الوليد وبعدها تبدأ دروس التربية الجسانية وبعد انقضاء السنة الرابعة عن ولادة الصبيان يجهزون عليهم بالضرب بعصي رفيعة صباح كل يوم صيفاً كان أو شتاءً ربيعاً كان أو خريفاً ليزيدوا حسن جنودهم على زعنهم وفوق ذلك فهم يرغمونهم على الاغتسال بالماء البارد في الأيام الجارية.

ومتى بلغوا العاشرة من حياتهم يدفعونهم من أكواخهم إلى الخارج حفاة عراة ليقضوا ليثهم نيماً يفتريشون الغبراء وينتحفون السماء أو أقنم يمحضونه وأيديهم قيد ماء الجند على ضفاف البحيرات ولا يجوز لهم رفعها إلا بعد أن تشرق الشمس عليهم فتحل عقال هؤلاء الحكوم عليهم بظلم العقول السخيفة.

وعندما يأزف زمان تكاثر الأسماك في الماء وتطفو عليها طبقات من السمك المتن يعنون بأولادهم تحت جناح النيل ليستشقوا تلك الروائح الكريهة ويعتادوها ويمارسوا الفروسية تحت رعاية ملك الحفظ.

أما من حيث المعتقد فهم بعيدون جداً عن الاعتراف بأنه قادر قاتنون بتعدد الأرواح التي ملأت السهل والجبل وعلى رأيهم أن لكل منهم عملاً خاصاً به حتى أن العجائز

والشجر وآلات الصيد وكل ما يقع عنده نظرهم في هذا الكائن الهائل من جهاد ونبات وحيوان له ملك موكل به ولذلك تراهم أبداً مشغولين بالمراسم والعبادات ليرضوا هذه الآلهة الكثيرة ويعموا بالآ في هذه الحياة الدنيا.

مثال ذلك أن أفراد الشعوب التي تقتات من الصيد لا يتيسر لها أكل لحم الوعل الذي يصيدونه بهناء بل أنهم يحفظون بالدماء والأمعاء لئلا تقع تحت يد وحش ضار فيأكلها وذلك لا اعتقادهم أن المنة الموكلة بذلك يطلع بقية الوعول على جلية الأمر ويريههم النقص الذي حصل من الصائدين في سبيل احترام رفيقهم فلا يعودون يجودون بأنفسهم ليصطادوا بل ينجنون إلى الجبال التي تناطح السحاب ويشكل على الملئق في العناية بهم أمر الصيد.

ثم أنهم عندما يأتون بصيد الوعل إلى بيوتهم لا يجوزون به الأبواب التي وطنتها أقدام النساء وفي عرفهم أن غلباء النساء وظباء الوعل أعداء متشاكسون. وعندما يجمع أحدهم صيد الدب الأبيض يطنب إلى روح ذلك الحيوان أن تتسل أمامه كحيوان مستسلم ولا تمسه بسوء فإن ساعده ووفق إلى صيده يدهن وجهه على وجه الإنسان بألوان مختلفة علامة شكره على نجاحه ويبدأ بتلاوة قصيدة رثاء يمدح فيها خلال الفقيد العزيز وسجاياه الغرّ (!).

ومن غريب عاداتهم في مباشرة طعام لحم الدب أنهم يلدؤون برأسه على أن يكون وجوه حاضري الوليمة مصبوغاً بالألوان وأن يعلق على رأس الدب في أعلى غصن من شجرة باسقة بحيث يراه أبناء جلدته عزيز الجانب رفيع الجناح في الحياة وبعد المنات. يقولون وبعد هذا لا يأنف الحيوان مقابلة الصيادين والتعرض لأسنة حراهم وأخشابهم. ولا

يقتصر هذا الاحترام على نوع الدب فقط بل يكاد يكون عاماً في جميع الحيوانات. وعندما يتجاذب الأهون حديث الصيد ويخصون بالذكر الحيوان الذي يغون قتله أو صيده بالفخاخ يمازج حديثهم أخشنة والأدب فيخفون من أصواتهم لئلا يقرع مسامع الأرواح الموكلة بتلك الحيوانات كما أنه يكون منجماً متأسفاً كقولهم: رفاقنا. لعل أولياء نعمتنا يتكرمون علينا برؤية أحدهم فيكون نصياً منهم وعلاً أو غزلاً أو دباً إلى غير ذلك.

ولو اكتفوا بهذه التعاليم والتقاليد فقط لكان لهم فيه بعض العذر ولكنهم شغلوا به الفاكهة أيضاً فحالما يبادرون بجسي الشمار يكون لديهم راهب أو ساحر يتلو عنهم جهاراً دعاءً ينق بالمقام ويرضى به الملائكة الموكلة لسم البركة ويحصل الخير. وبينما الراهب يتلو الأدعية والإذكار يقف زعماء الشعب وفي أيديهم العصي يراقبون أعمال الشبان حتى إذا ما رأوا أحداً فتح عينيه قبل ختام الدعاء أو سعوه ضرباً ولكماً.

على أن كل ما ذكر لا يعادل الحفلات التي يقيمونها عند حلول موسم صيد نوع من السمك فعندما تقع سمكة في يد الصياد في أول الموسم يرفعها على ساعدين لأنه محظور عليه أن تمسها يده فيأتي بكل وقار إلى رئيس الرهبان الذي يقبلها منه بقبول حسن ويرفعها إلى مكان خص بها وهيئ لها من غصون الصنوبر.

ثم يقترح على شيخ جليل من الحضور تكون له الوجامة والرجاحة في قومه أن يصف حول السمكة العصي التي تشير كل منها إلى أسرة من البيوت الكريمة بحسب درجاتها ثم يتناول الرئيس الراهب العصي واحدة بعد واحدة ويمس بها مسيح السمكة الأمامي الذي يعدونه بيدها اليمنى ويخاطبها بقوله: لي الشرف أن أقدم لكريم مقامك الأسرة الفلانية

التي حضرت إلى رحابك الواسع وأطلب إليك أن تسبحي لها بأن تكون موطن قدمك إلى غير ذلك من ضروب الإطراء وصنوف المديح. وبعد إتمام هذه المراسم يضع السمكة في قدر جديد ويسنقونها على النار بين النشيد والتريل ثم توزع بين زعماء القوم وتنبها الأسماء التي تشرفت بالعيد بعدها وتطبخ هذه أيضاً ثم تعطى إلى من لم يكن حرم عليه أكل السمك شرعاً.

لرؤساء الدين عند هذه الطوائف شأن كبير لأنهم يعتقدون فيهم أنهم وسطاء بينهم وبين الملائكة أو الرواح الموكلة وتنتقل الرهينة من الآباء إلى الأبناء وتتعاظم هؤلاء الرهبان بعض مواد تخدر الجسم في حين يعنون كل العناية بالاعتكاف والانقطاع عن الناس فيكون فيهم من وراء ذلك شيء من الجسود والسكينة.

وما يدعو إلى الانتباه الأنصاب القاسية في مداخل البلدان وقبالة البيوت وقد زعم المكتشفون من الروس أنها تماثيل تعبد والحقيقة أن هذه شارات خاصة لكل أسرة منها شارة فمنها ما يكون كالطير ومنها ما يكون كالسمك وأشباههما من الحيوان على أن هذه تخدم في تفريق البيوت بعضها عن بعض لأنها كلها مبنية على نسق واحد لا يمكن التميز بينها إلا بميزات خاصة وهذه التماثيل تفي بالغرض المطلوب. ولهم نوع من السحرة يطبون المرضى ولكن بإخراج الأرواح الشريرة منهم لا بالعلاج النافع الذي لا يعرفونه. ثم هم يدعون أن كل أسرة منهم من نسل أحد الأرواح الموكلة ويعتقدون أن لهم صلة بالسماء كالصينيين أبناء ماء السماء ولله في خلقه شؤون.

حيفاً.

عبد الله مخلص.

قانون الجمعيات

الفصل الأول

المادة الأولى_ الجمعية هي الهيئة المؤلفة من أشخاص عديدين غايتهم توحيد معارفهم أو مساعيهم دون أن يقصدوا اقتسام الربح.

المادة الثانية_ لا تضرر الجمعية إلى نيل الرخصة قبل تأليفها إلا أنها يقضى عليها عقيب تأسيسها إخبار الحكومة طبقاً للمادة السادسة.

المادة الثالثة_ لا يجوز تأليف الجمعية الممتدة على أساس غير مشروع مغاير لأحكام القوانين والآداب العامة أو محل بالأمن في المصلحة وتتمام منكرة الدولة وتغيير شكل الحكومة الحاضرة والتفريق سياسة بين العناصر العثمانية المختلفة.

المادة الرابعة_ محظور تأليف جمعيات سياسية أساسها وعنوانها القومية والجنسية.

المادة الخامسة_ يشترط في أعضاء الجمعيات أن لا تكون سنهم أقل من عشرين غير محكوم عليهم بجناية أو محرومين من الحقوق المدنية.

المادة السادسة_ ممنوع كل المنع تأليف الجمعيات السرية. فإذا أنشئت جمعية تقدم بياناً في الأمانة لنظارة الداخلية وفي الولايات لأكثر موظف ملكي يوقع عليه مؤسسو الجمعية ويختصونه فيبينون فيه عنوان الجمعية ومقصدها ومركز إدارتها وأسماء المكلفين بإدارتها وصفتهم وملح إقامتهم. ويعطى علم خبر مقابل هذا البيان. ويربط بالبيان المذكور نسختان عنى نظام الجمعية الأساسية المصدق عليهما بطابع (ختم) الجمعية الرسمي.

وبعد أخذ العلم والخبر يعين المؤسسين الكيفية عنى أن الجمعيات مضطرة أن تخبر الحكومة حالاً بالتعديلات والتبديلات التي تجربها سواء في نظامها الأساسي أو في هيئة

الإدارة ومحال الإقامة وهذه التعديلات والتبدلات يعمل بها في يوم إخبار الحكومة وتفيد في سجل خاص يبرز في كل وقت تطبه العدلية والمنكية.

المادة السابعة-لمركز كل جمعية مجلس إدارة يؤلف من شخصين على الأقل وإذا كان للجمعية فروع يجب أن يكون لكل واحد منها مجلس إدارة مربوط بالمركز ويشترط على المجالس أن يكون لها أولاً سجل تين فيه هوية الأعضاء وتاريخ دخولهم ثانياً سجل لقرارات والمقاضات والتبنيغات ثالثاً سجل فيه مقدار دخل الجمعية ونفقاتها بأنواعها ومفرداتها وتبرز هذه السجلات الملكية والعدلية في أي وقت تطبها.

المادة الثامنة- كل جمعية تعطي بياناً بموجب المادة السادسة تكون بالواسطة مدعية ومدعى عليها في احكام كما هو مبين في المادة التاسعة ولها الحق بأن تنصرف وتدير ما عدا الإعانات التي تكلف بها الدولة أولاً الحصص النقدية التي يعطيها أعضاؤها على أن تتجاوز سنوياً الأربع والعشرين ليرة ثانياً اخل المخصص لاجتماع أعضاء الجمعية وإدارتها ثالثاً الأموال غير المنقولة اللازمة للوصول إلى المقصد الذي اتخذه وفقاً لنظامها الخاص. ومحظور على الجمعيات أن تنصرف بغير ذلك من العقارات.

المادة التاسعة- تكون المراجعات والمطالبات باسم الجمعيات لمأموري الحكومة والحاكم والمجالس الرسمية بعرائض عليها طوابع يوقع عليها الكتاب العموميون والمديرون بتوقيعهم وطابعهم الذاتي ولا تجري غير ذلك من الوسائط. وإن أمثال هؤلاء الأشخاص الذين يقومون بالمعاملات باسم الجمعية تين هويتهم في نظام الجمعية الأساسي.

المادة العاشرة- يمكن لأعضاء الجمعيات أن ينفصلوا عنها في أي وقت يريدون ولو اشترط في نظامها الأساسية عكس ذلك بعد أن يؤدوا ما عليهم من الحصص النقدية التي حان استيفؤها وتختص بالسنة الحالية.

المادة الحادية عشرة- محظور إدخال الأسلحة النارية والجارحة إلى المكان الذي تجتمع فيه الجمعية كما أنه يحظر حفظها فيه إلا أنه يمكن أن يوجد أسلحة بقدر الزوم في الأندية المختصة بتعليم الصيد والقنص ولعب السيف على أن تكون للضابطة علم بذلك.

المادة الثانية عشرة- تمنع الحكومة كل جمعية لم تعط بياناً للحكومة ولم تخبر ولم تعلن عن نفسها حسب المادة الثانية والسادسة ويعاقب بالغرامة النقدية من خمس ليرات إلى خمس وعشرين ليرة مؤسسوها ومجلس إدارتها وصاحب محل اجتماعها أو مستأجره على أن يحكم بجزء آخر إذا كانت أمثال هذه الجمعية مؤلفة لمقصد مضر من المقاصد المسطورة في المادة الثالثة والمينة في قانون الجزاء كما يقضي به القانون المذكور.

المادة الثالثة عشرة- يؤخذ جزاء نقدي من ليرتين إلى عشر ليرات من الذين يأتون أعمالاً تخالف باقي أحكام المادة السادسة ما عدا الأخبار والإعلان وأحكام المادة الرابعة والخامسة والسادسة والتاسعة. ويغرم أعضاء الجمعيات التي تمنع بموجب المادة الثانية عشرة وتبقى

مخالفة لهذا القانون أو تؤسس من جديد بالجزاء النقدي من عشر ليرات إلى خمسين ليرة وبالسجن من شهرين إلى سنة ويجازى ويعين الجزاء من يعطون محالهم لاجتماع أعضاء جمعية منعت.

المادة الرابعة عشرة- إذا كان نظام الجمعية التي تحمل برضا أعضائها واختيارهم أو بموجب نظامها الداخلي أو تمنعها الحكومة صريحاً يعمل بموجب الأموال العائدة إليها وإلا تعامل على حسب ما تقرره هيئة الجمعية العمومية.

أما إذا كانت الجمعية قد منعت لتألفها لأحد الأسباب المضرة المبينة في المادة الثالثة فإن الحكومة تأخذ أموالها وتضبطها.

المادة الخامسة عشرة- الندية هي من قبيل الجمعيات المدرجة في هذا الفصل.

المادة السادسة عشرة- الجمعيات الموجودة اليوم مضطرة أن تقدم بياناً وتعلن كما تقضي بذلك المادة الثانية والسادسة وأن توفق معامنتها على باقي مواد هذا القانون خلال شهرين اعتباراً من إعلان هذا القانون.

الفصل الثاني.

المادة السابعة عشرة- إن اعتبار الجمعية خادمة للمبادئ العامة متوقف على تصديق الحكومة بقرار من شورى الدولة.

وهذه الجمعيات يمكن القيام المعاملات الحقوقية كافة التي لا تمنع منها نظاماتها الأساسية ولا بد للأسهم والسندات التي تعود إلى حاملها أن قيد وتحول باسم الجمعية ولا يمكن للجمعية أن تقبل هبة أو وصية إلا بإذن خاص من الحكومة وتباع أموال الهبة أو الوصية الغير منقولة إذا لم تنفع الجمعية في مقصدها ويصرح في قرار البيع بالملدة التي يجب أن تباع في خلالها ويسلم بدل العقار المباع إلى صندوق الجمعية.

المادة الثامنة عشرة- للضابطة حق تفتيش الجمعيات والأندية ففتح هذه أبواب محال اجتماعها لأُمُوري الضابطة في كل وقت. يجب أن يكون مع موظفي الضابطة كي يشتموا

أقم دخنوا محال الاجتماع مستلدين على لزوم حقيقي أمر أو إذن رسمي يضطرون إلى إبرازه ويكون صادراً إليهم من ناظر الضابطة في الأستانة ومن أكبر مأمور منكي أو وكيه في الولايات.

المادة التاسعة عشرة_عنى ناظري الداخلية والعدلية تنفيذ هذا القانون.

في ٢٩ رجب سنة ١٣٢٧ أو في ٣١ آب سنة ١٣٢٥.

سير العنم والاجتماع

سعة التأليف ومؤلفو الشيعة

كُتبت رصيفتنا العرفان تنمة لما كتبناه في الجزء الأول من المقتبس الخامس في سعة التأليف في الإسلام ذوكرت الكثيرين من التأليف عند الشيعة فقالت: لم نجد بين رجال القرن الأول من له ثلاثون مصنفاً لعدم انتشار التأليف آنئذ وغلبة الأمة ويكفي بأن ثبت للشيعة مؤلفين على حين أنه لم يكن لغيرهم تأليف في ذلك القرن فقد ألف أمير المؤمنين عني عليه السلام صحيفة في الديات وألف سلمان الفارسي وأبو ذر القفاري في الأخبار والسير وألف أبو الأسود الدؤلي في النحو الأدب وألف كثيرون غيرهم ممن يطول الشرح في تعدادهم.

ومن المؤلفين الكثيرين من رجال الشيعة في القرن الثاني لوط بن يحيى أو مخنف المؤرخ المشهور الذي يروي عنه الطبري وغيره من المؤرخين قال النجاشي له كتب كثيرة وعد منها نحو ثلاثين كتاباً عنها في التاريخ والسير.

وهشام بن الحكم عدد له النجاشي نحو ثلاثين كتاباً أكثر في الكلام والفلسفة الإلهية.

ومن رجال الشيعة في القرن الثالث إبراهيم بن محمد الثقيفي قال النجاشي له كتب كثيرة والتي اتصل بنا منها ثم عددها نحو أربعين كتاباً.

والحسن بن موسى أبو محمد النوبختي قال النجاشي له على الأوائيل؟ كتب كثيرة منها كتاب الآراء والديانات وحجج طبيعة مستخرجة من كتب أرسطاطاليس في الرد على من زعم أن الفلك حي ناطق وكتاب في المرايا وجهة الرؤية فيها وعدد له نحو أربعين كتاباً.

وسعد بن عبد الله أبو القاسم القني عدد له ما ينيف عن ثلاثين كتاباً.

وعبد العزيز بن يحيى الجنودي ذكر النجاشي كتبه في أربع صفحات وقد بلغت مائة وأربعة وثمانين كتاباً في جنة فنون وأغلبها تاريخ وأخبار وفقه.

وعلي بن محمد العدوي الشمشاطي كقال النجاشي له كتب كثيرة عدد منها ما يقرب من أربعين كتاباً ومما بلغت النظر منها كتب الأنوار والشار قال النجاشي قال سلامة بن دكا أن هذا الكتاب ألفان وخمسمائة ورقة يشتمل على ذكر ما قيل في الأنوار والشار من الشعر وكتاب الزه والابتهاج قال قال لي سلامة بن دكا أنه نحو ألفان وخمسمائة ورقة يذكر فيه آداباً وأخباراً ومن جنة كتبه مختصر تاريخ الطبري وأغلب كتبه ضخمة.

والفضل بن شاذان أبو محمد الأزدي النيسابوري قال النجاشي: ذكر الكحي أنه صنف مائة وثمانين كتاباً وقع إلينا منها وعدد نحو خمسين كتاباً.

ومحمد بن اروم أبو جعفر القني قال النجاشي: ذكر القيون وغزوا عليه ورموه بالغزو حتى دس عليه من يفتك به فوجدوه يصلي من أول الليل إلى آخره فتوقفوا عنه وقد عدد له نحو ثلاثين كتاباً ومن العجيب أن بينها كتاباً في الرد على الغلاة وكل كتبه دينية.

ومحمد بن جعفر بن أحمد بن بطة المؤدب أبو جعفر القسي قال النجاشي: كبير المترلة بقم كثير الأدب والفضل والعلم يتساهل في الحديث ويعلق الأسانيد بالإجازات وفي فهرست ما رواه غلط كثير وقد عدد له أكثر من خمسين كتاباً أكثر كتبه مساة بأسماء الأعداد فله كتاب الواحد والاثني إلى التسعة والأربعين.

ومحمد بن أحمد أبو الفضل الجعفي الكوفي المعروف بالصابوني عدد له النجاشي نحو سبعين كتاباً وقد كان زيدياً فصار اثني عشرياً.

وهشام بن محمد السائب قال النجاشي: كان له كتب كثيرة وعدد له منها خمسين كتاباً في الأنساب والتاريخ والسير.

ويونس بن عبد الرحمن قال النجاشي: وكانت له تصانيف كثيرة وعدد منها أكثر من ثلاثين كتاباً.

ومن رجال الشيعة المشهورين في سعة التأليف في القرن الرابع أحمد بن محمد بن دول القسي قال النجاشي: له مائة كتاب وعدد منها جانباً.

وعلي بن أحمد أبو القاسم قال النجاشي: كان يقول بأنه من آل أبي طالب وغلا في آخر أمره وفسد مذهبه وصنف كتباً كثيرة أكثرها على الفساد وقد عدد له نحو خمسين كتاباً أغلبه ردود وبها رد على أرسطاطاليس وكتاب في تفسير القرآن وكتاب في النفس.

ومحمد بن يعقوب الكليني عدد له النجاشي أربعين كتاباً وقال: صنف الكتاب الكبير المعروف بالكليني يشي الكافي في عشرين سنة ومات سنة ٣٢٩ سنة تناثر النجوم.

ومحمد بن أحمد بن الجنيد المكاتب أبو علي الإسكافي عدد له النجاشي ما يقرب على مائة وثمانين كتاباً كلها دينية فقه وسير وكلام.

ومحمد بن بابويه القمي المشتهر بالشيخ الصدوق عدد له النجاشي نحو مائة كتاب.
وموسى بن الحسن أبو الحسن الأشعري القمي قال النجاشي: صنف ثلاثين كتاباً عدد
منها اثني عشر كتاباً.

ومن المؤلفين في هذا القرن إسماعيل صاحب بن عباد وأبو الفرج الأصفهاني صاحب
كتاب الأغاني وهما وإن لم تبلغ تأليف كل منهما الثلاثين فإنها تناهز العشرين فضلاً عن
تعدد مجلداتها وغزير فائدتها.

ومن المكثرين من التأليف في القرن الخامس علي بن الحسين أبو القاسم السيد المرتضى
الشهر فقد عدد له النجاشي أربعين كتاباً ويقال بأن له ثمانين كتاباً وهو صاحب أمالي
المرتضى الذي طبع في مصر.

ومحمد بن محمد بن النعمان المشهور بالشيخ المفيد عدد له النجاشي نحو مائة وستين كتاباً.
أما في القرن السادس فيوجد من الشيعة عدة مؤلفين بيد أنهم غير مكثرين.

ومن المكثرين من التأليف في القرن السابع السيد أحمد بن طاووس قال في الروضات
وصنف اثنين وثمانين كتاباً في فنون من العلم وعد منها دليلاً صالحاً.

والحسن بن المطهر الحلي المشهور بالعلامة عدد له صاحب الروضات سبعين مصنفاً
ورأيت على الحواشي بعض مصنفاته بأن له ثلاثمائة مصنف.

والسيد علي بن طاووس عدد له صاحب الروضات نقلاً عن كتب كثيرة أكثر من ثلاثين
مصنفاً كل كتاب منها عدة مجلدات.

ومحمد الخواجة نصير الدين الطوسي الحكيم المعروف عدد له صاحب الروضات نحو
ثلاثين كتاباً في فنون مختلفة.

ومن الكثيرين من التأليف في القرن الثامن محمد بن معية النسابة وهو وإن لم يتجاوز ما عدد له صاحب الروضات خمسة عشر كتاباً فهي تبلغ الستين مجلداً منها كتاب أخبار الأمم فإنه قال صاحب الروضات خرج منه أحد وعشرون مجلداً وكان يقدر إتمامه في مائة مجلد كل مجلد أربع مائة ورقة.

ومحمد بن مكي العاملي المعروف بالشهيد الأول فهو وإن لم يذكر صاحب أمل الآمل إلا نحو خمسة عشر كتاباً فمن المشهور أن له تأليف همة في فنون مختلفة جريدة الفائدة. ومحمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي صاحب كتاب لسان العرب المعجم المعروف له كتب كثيرة ويقال أن مختصراته خمسمائة مجلد.

أما في القرن التاسع فلم نثر على مؤلفين كثيرين بين رجال الشيعة وإن كان يوجد بينهم عدة مؤلفين مقنين.

ومن اشتهر في القرن العاشر بكثرة التأليف زيد الدين الشهيد الثاني العاملي ثم الجبعي عدد له تليذه العودي من المؤلفات المتوعة ما ينيف عن ستين مؤلفاً.

ومن

أكثر في التأليف في القرن الحادي عشر سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي عدد له صاحب الروضات نحو أربعين مصنفاً وبها الكتب التي وقعت في عشر مجلدات.

وصدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي المشتهر بالملّا صدرا عدد له صاحب الروضات نحو ثلاثين كتاباً أكثرها في الحكمة الإلهية.

ومحمد بن الحسن بن علي بن محمد المعروف بالشيخ الحر العاملي صاحب كتاب الوسائل في الحديث وأمل الآمل ففي علماء جبل عامل في التراجم وقد ترجم نفسه به وعدد مصنفاته كما نقله صاحب الروضات فإذا هي تنيف عن أربعين كتاباً ورسالة.

ومن المؤلفين المكثرين في القرن الثاني عشر إسماعيل المازندراني قال صاحب الروضات بعد أن عدد له أربعة عشر كتاباً ورسالة إلى غير ذلك من السائل والمؤلفات الكثيرة التي تبلغ نحو مائة وخمسين مؤلفاً متيناً في فنون شتى من العلوم والحكم والمعارف.

ومحمد باقر المشهور بالنجاسي عدد له صاحب الروضات نحو خمسين مؤلفاً عربياً وخمسين مؤلفاً فارسياً وبعد الفراغ من تعدادها قال: وعدد أبيات جميع ما ذكر من العربي والفارسي ألف ألف بيت واثنين وأربعين ألف بيت ومبعضها وإذا وزعت على أيام عمره التي هي ثلث وسبعون سنة من غير زيادة ولا نقصان يكون قسمة كل سنة تسعة عشر ألف بيت ومائتين وخمسة عشر بيتاً وخمسة عشر حرفاً وهكذا بالترتيب اهـ
والسيد خلف عدد له صاحب الروضات نقلاً عن أمل الآمل وغيره من كتب التراجم نحو ثلاثين مؤلفاً.

وسليمان البحراني عدد له صاحب الروضات أكثر من خمسين مؤلفاً أكثرها رسائل. وعبد الله بن جمعة السماهيجي البحراني عدد له صاحب الروضات نقلاً عن بعض إجازاته أكثر من ثلاثين كتاباً ورسالة.

والسيد هاشم البحراني عدد له صاحب الروضات أكثر من ثلاثين كتاباً وفيها المجلدات الضخمة.

ومن المكثرين في التأليف في القرن الثالث عشر من الشيعة الشيخ أحمد الإحساني فقد قال صاحب الروضات بعد ما عدد له ثلاثين مؤلفاً إلى تمام مائة رسالة وكتاب. ومحمد الباقر البهبهاني قال صاحب الروضات نقلاً عن صاحب المنتهى له ستون مؤلفاً ثم عدد أكثرها.

وملا جعفر الاستربادي عدد له صاحب الروضات نحو أربعين مؤلفاً في علوم مختلفة أكثرها مجندات ضخمة.

وأبو القاسم الميرزا القمي صاحب كتاب القوانين في الأصول عدد له صاحب الروضات عد كتب كنها مجندات ضخمة وقال وجد بخطه ما يؤدي بأنه كتب ألف رسالة في مسائل مخصوصة من العلوم.

ومحمد بن عبد النبي المعروف بميرزا محمد الأخباري نقل صاحب الروضات بأنه كتب كتاباً في الرجال ترجم به نفسه وعدد مؤلفاته وهي ثمانون مؤلفاً في فنون عقلية ونقلية وشهودية وجلها أو كلها مجندات كبيرة ومنها ما وقع في عدة مجندات اهـ.

مدرسة الاستقلال

ذكرت مجلة العلم الاجتماعي أن مدرسة دي روش في فرنسا احتفلت بمرور عشر سنين على تأسيسها فذكر رئيسها في هذه المناسبة ما قامت به المدرسة منذ إنشائها في تربية العقول ونزع حب الاتكال من النفوس وتحبيب الاستقلال إليها قال أن هذه المدرسة أنشأها أديمون ديمولانس (صاحب كتاب سر تقدم الإنكليز والمكسونيين) وغرضها أن تقصد إلى القضاء على الأساليب والعادات المتبعة في المدارس الداخلية الفرنسية فهي تعاكس الظلم الناشئ من التدريب المبالغ فيه وتقاوم إهناك القوى في عامة أشكاله وطريقة

اتباع الخطط في الدروس ورخاوة التربية الطبيعية وقنة كفاية التربية الصحية وفقدان التربية العنيفة ونزع الأساليب المتبعة في تربية الأخلاق وتلقين الأديان.

وقد ذكرت اللجنة أن غاية ما توخته هذه المدرسة أن توفق بين النمو العقلي في الطفل وعيت أن تبين للأولاد لماذا يعملون الشيء الفلاني وإن تشوقهم إلى تعلمه لحل المسألة الفلانية بحيث يهتمون بنتائجها وكان ممن تخرجوا في تلك المدرسة منذ سنة ١٩٠٥ أن تقدموا للمسابقة فأحرز قصب السبق منهم ٥٦ من ٦٧ وأبانوا عن كفاءة مدهشة في المواد التي لا تسألهم عنها المدارس مثل الرياضات البدنية واللغات الحية والموسيقى والمعنومات العنيفة وتربية الأخلاق. وأحسن ثمرات التعليم الاستقلالي أنه لم يعد إلى البطالة فرد من المتخرجين على أسنوبه بل أتم ٢٦ منهم دخنوا في التجارة والصرافة وكثيرون قصدوا البلاد الخارجية وثلاثة دخنوا المدارس التجارية و ١١ في الصناعة وقلما يرغب تلامذة هذه المدرسة في التوظيف والأعمال الحرة بل يختارون الصناعات العنيفة الحرة فلم يدخل منهم حتى الآن سوى واحد في معنعان السياسة وواحد أثر التوظيف.

مؤتمر العناصر

ومن أول مظاهر الإخاء بين البشر المؤتمر الذي سيعقد في لندرا في شهر تموز ١٩١١ فهو أول مؤتمر عام للعناصر يساعد على تبادل الاحترام بين عناصر الشرق والغرب وستلى فيه مفكرات غربية يتنوها أناس من أرقى الرجال من أهل العالمين القديم والحديث وسيكون بينهم خمسة وعشرون رئيساً في مجالس النواب وأربعون أسقفاً ومئة وثلاثون أستاذاً في الحقوق الدولية وغير ذلك سيكون لهذا المؤتمر شأن عظيم في مستقبل العناصر البيضاء وغيرها.

استعمار الإسلام

قالت مجلة الاقتصاد الدولية إننا قد أيقظنا اليابان والصين من سباتهما وها قد أصبحنا ولاسيما الأميركان منا نعض الأنامل ندماً على ما قدمناه بين يدي تينك الأمتين وقد أخذ المسلمون ينهضون ويتبهون أيضاً بحسب رأي المسير لشتاتليه (المقتبس م ٥ ص ٢٧٦) كما يفهم من الأرقام التي أتى بها للدلالة على انتباه المسلمين قال أن الصحف الإسلامية تكون الرأي العام الإسلامي على أن تكون منافع الجمارك والأراضي والغابات والمعادن والنقل والاحتكارات والامتيازات وكل ثمرات الأرض إسلامية خاصة بالمسلمين يقول لسان حاملها الإسلام للمسلمين وقد علقت ائجلة على ما تقدم بهذه الجئلة الغريبة وهاكها بنصها معربة:

إننا نعد أنفسنا سعداء إذا اكتفى المؤمنون بهذا ولم يأتوا فيستعصروننا على الطريقة التي عمدنا إليها معهم.

ضعاف المدارك

نقدت مجلة الاقتصاديين الباريزية عن إحدى المجلات الإنكليزية مبحثاً لأحد أطباء إنكلترا جاء فيه أن بين عامة الناس والبلد الثابتة بلامتهم في بريطانيا العظىى طبقة كبرى ضعيفة في مداركها وهي عالة على أسرها والمجتمع وعددها لا يقل عن خمسين ألفاً قال أن ضعف العقل أرثى وأصحابه يشتد غرامهم ويكثر أولادهم على حين يقل أولاد الأذكاء وبذلك ينتج ضعف الأخلاق والعقل في المجتمع وذلك لأن ضعاف العقول يأتون بالجرائم والمقاسد أكثر من غيرهم وضعيفات العقل من البنات أقرب بنات جنسهن إلى الإغواء. وقد حسبوا جميع سكان ورخوس فكان خمسهم أو ربعهم ضعاف العقول فالواجب إذن

تقوية هذه المدارك الضئيلة والمدارس التي أقيمت لغرض تقوية الضعاف في عقولهم لم تشمر
 الشجرة المطلوبة لأنه لم ينجح واحد في الحسین ممن دخلوها لأنها أنشئت على مبدأ
 مدارس أقوياء العقول أي على طريقة مدرسية صرفة لا شأن فيها للصناعات. قالت لجنة
 فإن ادعى صاحب هذا الفكر بأن هذا خطر عظیم على المجتمع أجيب بأنه كان منذ كان
 البشر ولكنه لم يكن محسوساً كما هو الآن لأن الملاحي والأديار تؤوي أمثال هؤلاء
 وكانوا من قبل مشتبين فالخطر وإن كان واقعياً إلا أنه ليس بالدرجة التي يظنها الطبيب
 المشار إليه نعم إن الأولاد كلهم يصاغون صياغة واحدة من سن السادسة إلى الثانية
 عشرة بمعنى أنهم يتعلمون القراءة والكتابة وما تعلم القراءة والكتابة بالأمر السهل كما
 يظهر بل هو من شاق الأعمال التي لا تقدرها حق قدرها فإن المستخدم إحدى المكاتب
 يعني ثلاثين كلمة في الدقيقة أي ما يعادل طول خمسة أمتار فتكون هذه الخطوط ثلاثمائة
 متر في الساعة أو ألف كيلو متر في ثلاثمائة يوم من أتم السنة وهي أيام العمل. ولأجل
 كتابة ١٣٠ كلمة يدور رأس القلم ٤٨٠ دورة في الدقيقة و٢٨٠. ٨٠٠ دورة في الساعة
 دع عنك ما يتبع ذلك من التعاريج مما لا يقل طوله كنه عن مئة ألف كيلومتر في السنة
 ولولا العادة ما سهت الكتابة وخففت من تعب الأعصاب وهذا هو العمل الذي يقضي
 على الأولاد أن يعمنوه فهل يستغرب إذا رأينا بعضهم يتوأن بهذا العبء الثقيل وأن ما
 يطنبه الطبيب لضعاف العقول من تعينهم الصناعات هو أحق به أن يطنب لجميع
 المعلمين إذا أردنا أن يكون لهم عقل سليم فقي جسم سليم.

تربية الحس

كتب بول غوتنيه من عناء التربية في فرنسا مقالة في نقص تربية الحس في مجلة التربية جاء فيها: لا أرى في التربية أكثر إهمالاً في العادة من تربية الحس فإنه متروك وشأنه ينسب كما يشاء وعلى النحو الذي يشاء فيأخذ بالاتفاق ذات اليقين أو ذات الشك في المدرسة والأشرة وترى الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات يعنون بما في جهدهم بتلقين العنوم ولا ينتفتون إلى تربية القلب في حين أن الحس أصل القوى كلها ومبدأ كل حياة ولا أثر للذكاء والإرادة بدون عني ما أبان ذلك الفلاسفة المحدثون أمثال ريبو وفوليه وبرجسون. فالفكر الذي لا يقتبس من حرارته عار عن القوة. فيه تعرف مطويات الضمائر وعناوين الأمزجة وغاية الجهد بل هو الصورة لما في الأفراد من مزايا الإبداع. قال روسكين (من عناء الاجتماع الإنكليزي): إننا نشكو من قلة الحس أكثر من كثرة فقته أدت ببعض الأرواح إلى الابتذال فمن آثار قلة عادات وأعمال تخالف الإنسانية لا خوف يزعجها ولا فرح ولا شرف ولا تقوى يهزها فإذا تناقلت يد المرء في تعاطي العمل وجف قلبه وساءت عاداته وجهد فزاده يصبح مبتذلاً على قلة عواطفه وسرعة ذكائه وجودة مآتاد ومزعه فالعقل لا يعرف غير الحق فهو الإنسانية الربانية تستحكم من القنوب فتدرك الإلهيات وصاخ الأعمال.

فالحس يقرب بين الشخصيات ويسيطر على العواطف فيجمع الناس في أفراحهم ويشكرهم بعضهم مع بعض في أتراحهم بل هو السلسلة التي تربط كلاً منا بالعالم كله فهو الموزع الجوهرى بين الشخصيات. والأفكار والأعمال نتيجة لازمة عنه وهو كذلك الصلات بين الأفكار. إذا نقص فلا شيء يحدو نحو الكمال بل أن الكمال يفقد حذته ويحجب معين العلم والصناعات والفضائل ويتعذر العنر وتفقد العشرة وتحل ربط

الاجتماع فلا إحساس ولا شفقة. إذا فقد الحس تضعف الإرادة ويبقى العلم ظلاً زائلاً ويفنى الذكاء. ولطالما رأينا عتاء وهم مغفلون لو استقرت أحوالهم تجد لا فرق بينهم وبين حمر الخلائق لأن العلم لم يرق فيه الحس الرقيق الذي يمكنهم من معرفة ما لا يقع مباشرة تحت حواسهم وهو قلنا يتعلم كتاب فالحس من ثم هو الحد الفاصل بين أن يجعل الرجل في كبار الرجال أو في طبقة ضعاف المغفلين.

وإذا حيد باستعداد الطفل عن الجادة منذ صغره لا يلبث أن يكون استعداد مبعث كثير من المفسد وأصل جم من الخطايا يرسل بأحسن ما فيه عن مائة إلى الأغصان الشرهة الطفيلية فتھولك الأغصان النافعة وتقوى دواعي الهوى والتهوات فقد قال بول بورج: تكاد تكون معظم الأمراض العصبية ناشئة من اضطراب العشق ومبدأ كل هذا الاضطراب من رداءة التدبير الصحي الأخلاقي زمان البلوغ فمن الحس تنشأ المطالب العالية والمطالب الدنيئة وهذه القوة أو هذا الأساس في كل قوة سواء كان في الخير أو في الشر ينبغي أن لا يترك وشأنه في الولد على حين هو لدن رخيص إلى الغاية فإذا هب على ما يجب يكون منه أبطال وقديسون وإلا فلا أقل من أهل حشنة ووقار.

وأكثر ما يكون مربياً للحس بيت العائلة والتربية الأصلية هي التي تجعل الولد على استقامة لا ينالها من تربية أخرى وفي حب الوالدة ولدها معنى من معاني الظرف تصحب المرء إلى قبره ولكم كانت عناية الأم أكبر مخرج للرجل الأعظم حتى قالت العقيلة نكير دي سوسور إن الحنان هو الحرارة الضرورية لتسمية الجرائم السعيدة.

والمدارس الداخلية مضرّة وهي لصغار السن جريمة ويتضرر النبات وهم سيصبحون ملائكة البيت بدخولهم المدارس الداخلية إذ يتعدن عن الأسرة بل عن العالم ويفطم الولد من الحب ولا يعرف غير جفاء النظام والعذاب والخرق وقلة مبالاة الإدارة بأمره.

يتعذب وما من أحد يعنى به عناية حقيقية أو يعرف ذوقه وميوله ولا يجد حوله من يوح إليه بذات نفسه فهو وحيد محروم من الهواء وإحساسه يذبل إذا لم نقل يفسد ولذلك كانت المدارس الداخلية في فرنسا لا تخلو من مقاصد تنحق الأخلاق. وقد انتبه الإنكليز لذلك فلم يعودوا يرسلون بناتهم إلى المدارس الداخلية بل يجعنوهن في بيوت معلقاتهن على أخلاقهن وينجون من إدارة تسير على هواها كإدارة الحبس فأفضل اختيار البيت لتربية الأولاد فيه فليس كالأسرة التي يخرجنا منها وازع يحف طفولتنا بعنايته ويعلمنا الظرف والنطف والطهارة التي كتب فيها رينان الفيلسوف يقول: أئتم يتعلم الطفل أو الفتى الطهر وصفاء السريرة النذين هما أساس كل أدب راسخ ويدرك زهرة العواطف التي تكون ذات

يوم بهجة للنساء ودقة الفكر التي هي ذات أشكال لا تدرك بالتصور؟ أتعلمها في الكتب وفي الدروس التي تنقى على مسامعهم فيصفي إليها أو في رسائل يستظهرها؟ كلا إنه لا تعلمها في شيء من ذلك بل يتعلم في الهواء الذي يعيش فيه واخيط الاجتماعي الذي يصير إليه تعلمها بحياته في أسرته ليس إلا.

فالحنان الآخذ بعنان الأسرة بما فيه من الالتئام والحب هو الذي يربي حسن الطفل من نفسه بعيداً عن قلة الاهتمام والعدوى والحسد بعيداً منذ نعومة أظفاره عما يعيث به. ويجب أن لا يدفع الأولاد للخدمات فإنهم يفسدوهم بضعف عقولهم وقلة

عنايتهم حتى أن ولداً في الثالثة عشرة أصبح أبله بصنع خادمة ارادت تمكيته فوضعت في غرفة وأقفلت عليه الباب بضع دقائق حتى إذا فتحت الغرفة وجدته متخسباً وقد عوج الولد فشفي إلا أنه بقي أبله طوال حياته. فصح فينا ما قاله بنوتارك في القديم: من الغريب أننا نرى الواحد منا يستخدم خادماً له في حرث أرضه وآخر لتنظيم داره وغيره لإدارة نفقته فإذا كان له خادم مكير لا يستطيع عملاً يعهد إليه بتربية ولده ونحن كم عندنا من معلم ومعلمة خافهم الدهر فعدوا إلى اتخاذ التعليم حرفة وهم ليسوا على شيء من الأخلاق التي تطلب منهم لتربية خلق المعلم فيرث الأولاد عنهم نقائصهم وأحياناً مفاسدهم بل يقتبسون دناءة النفس فيجردون عن المطالب العالية النضيحة قبل أن يبلغوا السن اللازمة.

ولذلك وجب على الوالدين أم لا يتخنوا لأحد عن ملاحظة أولادهم ففي الطفولية يتولون ذلك بأنفسهم وأثناء الدراسة يشرفون إشرافاً عليهم ولا يدفعونهم إلا لمعلمين أكفاء على أن دلال الولد وملاطفته على الدوام قلنا تنشئ رجالاً أو نساء أحرىاء بالاعتبار لأن رخاوة الحبس على هذه الصورة تبعد بالولد عن تحمل المكارة والإفراط بالعناية به تعدد إلى أن لا يتوقع إلا الدلال فالشاب يتطلب من الزوجة رفيقة لا أمماً والشابة تنتظر أن تكون لعبة لا منكاً. وهذه العيوب تلحق الولد الوحيد في الغالب لأن والديه يبالغان في دلاله.

وأضر ما يكون على طفل الإغراق في قضاء رغائبه وإعطائه من اللعب ما لا تشتد حاجته إليه بل أن يكون من شأنه أن يعود على الإسراف والبدخ وخير من ذلك أن يعود الولد الحرمان والتقصيف لأن الشدة القليلة في التربية تدعو المربي إلى الشجاعة.

وعرف الإسبارطيون ذلك حق المعرفة وهذا هو السبب في أن الإنكليز مازالوا محافظين على

أنواع الرياضات العنيفة وضرب السياط في المدرسة. لا جرم أن ذلك يمنع رقة القلب الكاذبة ويعد من التأنث مما هو من العيوب حتى في النساء.

وينبغي أن لا نكتم شيئاً عن الأولاد يطنبون السؤال عنه وإذا كان ثمة ما لا يسوغ لهم إبداءه نعلمهم بأن نصح عنه بعد حين فالجهل فيها ليس من الخير في شيء لأنهم الجهل خطر كل حين وقد كتب المسير نيكولاي يقول: إن الأخلاق عبارة عن تعلم مجاهدة الشر لا أن يعقد الأمل الخيالي بأن يكبر الولد في سداجة تامة في حين هو يعيش في العواء الفاسد الذي نستشقه.

فالتربية الحس القوي الذي يقاوم الصدمات يجب أن نجعلها تمس الحياة عند بداءة ظهورها والمدرسة مفيدة في هذا الباب لأن الأخلاق تتحاك فيها ولا بأس بأن يغادر الولد البيت ويسبح في الخارج فإن ذلك مما يقوي فيه الإرادة ويشد عزمه على العيش في لهواء الطلق في هذه الحياة.

يجب أن يكون للحس نظام فقد كان عناء التربية حتى الآن يعتبرون الصناعات واسطة لتسلية لا نتيجة لها أو ألعيب الصبيان وهي في الحقيقة أحسن تعويذة لأن في مكتها أن تجعل أبداً في الإحساس مساوكة ونظاماً وتحمله إلى أحب غض إذا صح أن الاعتدال هو القصد لا في المأكل والمشرب بل في الفكر والعواطف هو أساس كل فضيلة فقد قال روسكين: إن معرفة الجميل هو الطريق الحقيقي بل هو الدرجة الأولى لمعرفة حقيقة

الأشياء الجمينة فإن الحياة والسرور بالجمال في عالم المادة هما من القسم الدائمة المقدسة في أعمال الخالق كما الفضيلة في عالم الأفكار.

فمن الواجب كل الوجوب أن يجعل شعور الطفل منذ نعومة أظفاره يحتك بالجمال بوجه عام والفنون بوجه خاص وذلك لا في كتب يدرسها بل فيما يحيط به يحف حوله وأن يوقى النظر إلى البشع كما يوقى النظر إلى ما يتنافى الأدب.

يجب ألا ينشأ الطفل ويتطعم حوائيه إلا ويمجد الجمال في المسكن والجمال في المناظر فمن سيئات التمدن الحديث إن حرم أبناءه المكى في بيوت وسط الغابات والأشجار وجعل مساكنهم متصلة بعضها ببعض بحيث لا تفتح النافذة إلا لترى واجهة البناء المخاذي لك ولا يفتح الطفل عينيه إلا ما على هو منحط وبشع على حين يسهل أن نزين مكانا فليس الجمال هو البذخ بل إن النظافة النظام المدقق وانتقاء الأثاث والزهور وبعض النفائس والأعلاق في البيت تكفي في حمل الجمال إلى مسكننا ولأن تفتح حياتنا اليومية على الدوام بآناً يطل على عالم الخيال. والواجب أن يعنى بلباس الطفل على ما ينبغي على أسلوب لا ينافي الاقتصاد ولا الظرف. نحن لا نقول كما يقول الفيلسوف كارلايل أن الناس يوجد النفس الإنسانية بل نقول بأنه يرتبها وينظمها. وعليه فالأحسن أن ينظر أيضاً في اختيار اللعب للطفل حتى لا يكون ممن تغرز له النفس والأولى أن يعهد بصنع ألعاب الأطفال إلى أناس من أرباب الذوق والتفنن على ما كانت عليه الحال في القرن السابع عشر والثامن عشر. ويجب ألا تحرم المدرسة من مظاهر الجمال لأن الطفل يقضي فيها شطراً مهماً من أوقاته وغذ كان معظم الوالدين لا يستطيعون أن يجعلوا لأولادهم بيوتاً في الخلاء فالأجدر بالمدراس الثانوية أن تقيم مدارسها في الضواحي ليتيسر للأولاد

أن يعودوا في المساء ليسيروا في دور آبائهم. فقد كتب روسو أن البشر لم يخلقوا ليتجمعوا كما يتجمع النمل في القرية بل لمنتشروا في الأرض التي يحرثونها فنفس الإنسان قتال لإخوانه. وهذه الحقيقة لا مجاز والمدن هوة الجنس البشري فعندك أن تبعث بالأولاد يجددون حياقتهم بأنفسهم وينشطون قواهم وسط الحقول ويستعضون عن تلك القوى التي يضيعونها في الهواء القذر من الأماكن المأهولة كثيراً.

وهكذا يجب أن تكون المدارس الابتدائية في القرى والمدن في أماكن يتخللها الهواء والنور وأن يستعاض عن الدهان التي تطل بها جدران المدارس بالسواد عادة بألوان زاهية تزيل الوحشة عن قلب الطفل فيستفيد من ذلك عقده وقننه. وأحر بأن تكون جدران المدرسة مزينة بجميع نفيسة ومفروشة حجرها أحسن فرش بحيث يكون الجمال عن إيمان الطفل وشماله وقدامه ووراءه ومن أجل هذا اختار بعض علماء التربية أن يربي الأطفال في حدائق خاصة بهم لينشئوا على التأمل في الكون والنظر في أسرارهِ وبدائعهِ فالسماة تتعم بالنظر فيها ولكنها لا تقيدنا بقدر ما نتعلم من الصغر والتأمل في عظمتها.

يقتضي أن يطلع الطفل منذ صغره على إبداع ما نقشه النقاشون وصاغه الصانفون وبناء البناءون وأن نتعد عن تدريسهِ تاريخ الصناعة لأنهم لا يفهم منه شيئاً فيدخل المنزل إلى قلبه بل الأولى أن نشرح له الجمال فقط ونشعره بوجوده. فعلم الطفل أن يكون هو متفتناً أن يكون كما قال روسكين أكثر خجلاً إذا لم يحسن الغناء مما إذا كان لا يعرف القراءة والكتابة لأنه من الممكن كل الإمكان أن يعيش المرء عيشة سعيدة بطريقة بدون كتب ولا حبر ولكن قلباً يتأني أن لا تميل النفس إلى الغناء إذا كان في يوم سعدة. ولقد رأى اليونان هذا الرأي فكانوا يزعمون بأن تعليم الطفل الغناء يمدونه طول حياته بزيادة

ثمين من الحكمة والسرور دع عنك أن الغناء بالاشتراك مع الأصحاب هو أكد الطرق إلى تعنم التضامن. ثمك أنه من النافع تعويد الطفل أن يرسم بقلم الرصاص أو المنقش الأشكال والألوان الطبيعية فيتعنم بها الممارسة اللازمة لنصاعات النفيسة ويعتاد النظام والتدقيق الذي يقود عواطفه بالطبع إلى التسقي والتذوق فإذا ربي الحس على هذا الطرز يستعد لتخلق بالفضائل بتقوية الإرادة وبدونها لا يتأتى قيام شيء في عالم الفضيلة لأن الإرادة لا توجد الميول والرجائب تتخير منها وهذا الميل ناشئ مثل كثير من الميول عن الحس الذي يعمل كل العمل فمن اللازم اللازب تقوية ميول الطفل الحسنة بتثقيف إرادته بدون أن يشعر.

القدوة هي المربية في هذا الباب فهي تسلط على الرجال فما أجدرها أن تكون كذلك للأولاد يسيرون في أعمالهم بسيرتها وينهجون على الدهر فحجها فقد ذكروا أن فتاة أخذت في الشهر الخامس عشر من عمرها تقند أباها في تقطيب حاجبه وتعتاد عادته في الغضب ولحجته في رفع صوته ثم تعلمت ألفاه في قللة الصبر والغضب وهكذا أصبحت تردد أفعال أبيها كلها بعد السنة الثالثة. وقانون القدوة الذي هو عمل من أعمال الاقتداء واخيط يعمل عمله في الحس كما يعمل في الذكاء فقد قال مونتسكيو: من العادة أن يعنم الأب أولاده ما يعنم كما أن من العادة أن يورثهم شهواته.

ولذا كان على الوالدين أن يراقبوا أنفسهم في كل ما يصدر عنهما بين أسرفهما وأمام أولادهما ويتعدا عن كل ما شأنه أن يحدث في الولد تأثيراً سيئاً فيلا الأفعال والأقوال ونرى الناس لا يبالون أن يأتوا أمام الطفل ما يفسد أفعاله ومقاله ويعلمه الفاسد كلها قبل أن يعرف ماهيتها. فالغضب وكنسات الكبر والعجب والندات الشهوانية والوقعة

والكذب تعرض كل يوم أمام عيني الطفل وأذنيه فشوه حسه وتفسد نفسه ويعتذر الأبوان بأن ابنهما لا يأتيان أمامه وهو يدرك العيوب التي تمثل أمامه على هذه الصورة ويتوهم بأن الواجب يقضي بذلك ويوشك أن يسوء نظره على الدهر.

ويا سعد من لم يره أبواه لأنه في الأكثر يدللانه دلالاً يفسده فلا ينتهرانه لتربية نفسه خوفاً من بكائه أو أن يفقدوا ابتسامته مؤقتة فسوء تربية الطفل والطفلة بصنع أبويهما وإنالتهما كل رغائبهما وماذا يظنه الولد في نفسه متى رأى حواليه أناساً على أهبة تامة لسماع ما يقوله والإعجاب به وتدليله واستحسان كل ما يصدر من فمه أو يصفقون تصفيق السرور لكل ما يقوله مما يخالف الأدب. فلو كان رجلاً لما وسع عقله كل هذا التصفيق والاستحسان فمنا بالكبح به وهو طفل.

ومن النساء من يسرون على عكس هذه الخطة فيناكدون الطفل في أقواله وأفعاله ويفضونه في عامة أحواله ويعلمونه الحسد بما يصحونه معه من ضروب التهديد الشديد الدائم الذي يروقههم تكراره وهذا من مفاصد التربية أيضاً.

فعلى الوالدين أن يباعدوا عن الطفل ما يرتكبه من المصريات في تربيته فلا يشتدان عليه ولا يرغيان له العنان بل تكون تربيتهما إلى القصد فلا يمنعانه من لذائذه بكل ما يطنب ويحييانه من رغائبه إلى كل ما يشتهي فقد قيل من يحب كثيراً يعاقب كثيراً فتأنيب الطفل من أهم فروض الوالدين وأكبر مظهر من مظاهر عنايتهما. والأولاد كالأمم يعززون الصرامة ولا يحبون إلا ما يحترمون. كل هذا بدون أن يخلو ساعة من سرور ابنهما حتى يعيش ويكون تجنيه سروراً طوال حياته.

قننا أن الوالدين ينبغي أن يكونا خير قدوة لابنهما فهو لا يتأثر بالفضيلة إلا إذا رآها بالفعل ماثلة أمامه منذ نعومة أظفاره وكم من الناس لا يتطالون إلى هذه الغاية لأنهم عاشوا في وسط غير متمدن ومنهم من يحفظون حطة نفس ينم عليها تبذل أخلاقهم ومعلوم أن لهذه تأثير في القنب وهكذا الحال في كل الفضائل فإذا شاهدنا الطفل اليوم بعد الآخر يتشرها وتطمح نفسه إلى أن يأتيها بذاته. فمن أبوين حريين ينشأ طفل مخلص ومن أب محتشم يكون الولد عفيفاً ومن أسرة طاهرة يخلق الولد تقياً نقياً. فالعدوى في هذا الباب أشد فعلاً في الطفل من قانون الوراثة وإن للحركات والسكنات أفعلاً في خلقه الطفل وخلقه ولذلك وجب أن تصدر عن النفس دائمة لا مقطعة.

وكما يقضى على الأبوين أن يكونا خير قدوة لابنهما يجب عليهما أن يبذرا في نفسه البذور الصالحة وذلك بأن ينميا فيه حب الذات أو الإعجاب بأحسن ما فيه فليس أحسن في التربية من أن يشعر المربي من نفسه بحجل عما أتاه فليس الأولى البعد عن مكافحة حب الذات بل المناسب تنسيته على النحو اللائق وتسييره إلى وجه الكمال فمن دواعي التربية وضع الثقة في نفس من تربيته فالأديان تدعو منتحليها إلى الإيمان فمن الضروري كما يقول بعض علماء الأخلاق أن يؤمن المرء بقوته الخاصة بمعزل عن معونة خارجية فأقل شك يطرأ علينا يتلينا بالعقم وينضب مادتنا ويحول دون انبجاس إرادتنا القوية.

وكما تحافظ على حرمة الولد عليك أن تربيته على حرمة غيره وأن تعرفه ما بأن تضرب على العرق الحساس فيه إذا أحببت أن تلقنه معنى الإحساس فأعرض عليه مصائب الناس وقارها بما يشعر به من هذا القليل. وبغلط الوالدان اللذان يخفيان عن ابنهما شقاءهما

كأنه رذيلة من الرذائل مع أن الفقر أحسن مدرسة لتعليم الطفل الذي ولد في الرفاهية حتى لا يعتبرها بأنها واجبة أو مضمونة وتنبه فيه الشعور بالشفقة. فمن النافع أن يعرف منذ طفولته أن من الناس من خافهم سوء الطالع ليعتاد التحنن عليهم والإسراع إلى إغاثتهم.

وتحتاج في تربية الحس لياقي بشرات جنية إلى أن توقد جذوته بالتحسيس ليعمل الأعمال العظيمة فالواجب أن يلحق الطفل بين العاشرة والحادية عشرة من سنة الولوع بغاية سامية أرقى مما يقع تحت نظره كل يوم وبذلك تتغذى روحه ويتفتح بما لديه من القوى والمواد. وخير ما ينفع في هذا الشأن النظر في أنواع التعليم كالعلوم وتاريخ الفنون والآداب فالتعليم أعظم مهناز يربي ميول الطفل ويعدده لأن يكون من كبار الرجال ويربأ به عن الانغماس في حمأة المصالح المتذلة. فالتعليم لا يقوم بوظيفته إذا لم يكن فيه ما يوسع معارفنا بل يوقد شعلتها بتوجيهها نحو الحق والجمال والخير وأساس ذلك التحسس في الإنسان.

ولا يكفي في تاريخ تعلم الصناعات والآداب بعرضها وتحليلها بل الواجب أن يعرضها الطفل في النوحات وإليها كل المصانع والشعر والقصص والخطب فهي لا تأخذ مكاناً من قلبه ويتحسس بها إلا بذلك. يعرض عليه ذلك بالعمل ويشرحه للمعلم فالتعليم الأدبي والصناعي مهما بلغ من غنائه لا يتيسر تلقينه بدون قطع تشرح السر فيه كالشرح لا يستفيد منه المتعلم إذا لم يكن أمامه جثة. فعلياً أن نتعد عن التحليلات التي لا مستند لها من الحقيقة لأنها بقطع النظر عما فيها من الضرر اللاحق بالذهن تعود المرء على العمل بالفارغ وهي خالية من تأثير في الحس فمن واجب الأستاذ أن يطنع تلميذه على مقاصد

المؤلفين ويشرح لهم عواطفهم على صورة تمثل فيها الحياة والشعور وتبعث في روحه احتذاء مثالهم وبذلك لا يكون من تعليم الفنون والآداب فتح السبل التي يفيض منها حس المتعلم بل إن حسه إذا تجمع على هذا النحو تزيد قوته وصفاءه وتبع منه ينابيع لا تجف طوال الحياة.

يقول بعضهم أن التربية العنيفة الصرفة تجعل الذوق قاحلاً ولطكن ربما كان العلم يتطلب قوة في التحمس كما تتطلب الفنون والآداب من الصانع والكاتب فالبحث عن الحقيقة يستدعي إخلاصاً شديداً كالنظر في الجمال. والمرء كما يقول باسكال أقل سكرًا باتحصال تركيب الطبيعة وما فيه من اللانهاية منه في إيجاد شيء من تصوره. فالذين يصرفون حياتهم في البحث ليسوا أقل قوة ممن يخترعون أفكاراً من نفوسهم.

قال كنود برنارد: إن الرغبة الشديدة في المعرفة هي الباعث الوحيد الذي يجذب الباحث ويعضده في أعماله وهذه المعرفة هي التي يمسكها فتقر أمامه على الدوام وتكون في الوقت نفسه عذابه الوحيد وسعادته الوحيدة فمن لا يعرف كيف يقاسي المرء العذاب من أجل الحصول على مجهول لا يعرف الأفراح التي تصيبه عند اكتشاف الجديد وهي أفراح لا يدانيها شيء في العالم للحقيقة كما للجمال بهاء وجلال ولذلك كم فائدة تكون للنحس ولارتقاء العلوم في المستقبل أن يكشف عنها القناع أمام أعين من يعذبهم إلا أنه يجب لإشراك التلامذة في البحث أن تكرر لهم تلك الحقائق ويطلب منهم أن يبحثوا بأنفسهم وأن يوفر لهم قسطهم من السرور باكتشافها فيطعنون على مقدمات العلوم والاكتشافات العظيمة ويشوقهم إلى احتذاء مثال من جامدوا جهاد الأبطال أمام قوى الطبيعة حتى تظنوا أسرارها فإذا حمى وطيس البحث ينشأ فيهم حب الغاية المنشودة كما

أن من يبدأ باللعب ويكون ضعيفاً لأول أمره لا يثبت أن تبعث له همة ويزيد لبلوغ الغاية غرامه. وهذا يستدعي لتعليم الآداب أن يجعل التثنية مع اتصال بالحقيقة والطبيعة التي هي ميدان درس العالم بدلاً من حصره في مآزق تبعث نفسه على القس والتأفف في حين كان يجب أن تذكي فيها شعلة حب العلم فقد قال الفيلسوف رنان: إننا نشبه بالقديسين والأبطال وكبار الرجال في كل عصر وجيل أهل الأخلاق العنيفة الذين وقفوا أنفسهم خاصة للبحث عن الحقيقة غير مباليين بالمثل بل ربما فاحروا بفقرهم وبسنوا لما يقدم إليهم من التكريم وتساوى في نظرهم المدح والقدح وهم على ثقة فيما يعملون سعداء لأن لهم الحقيقة ولا سبيل إلى نشر ما تعبت به عقول نوابغ الأرض في العلم والآداب والصناعات إلا على أيدي أساتذة جهابذة وبغير ذلك لا يرتقي الحس.

والتعليم الديني نافع جداً في تربية الحس فقد قال جبرائيل كومايري: باعد عن الجنس البشري الاعتقاد بعالم أخروي أرقى مما هو فيه فإنك تسلبه بطبيعة الحال جزءاً من القوى اللازمة لتخلق بالفضيلة فإذا لم يكن هذا العالم إلا خلأً واسعاً يضع فيه صوت الإنسانية في الفراغ بدون أدنى قوة عامنة تضمن للعدل نصرة أبدية فالإنسانية معرضة للسقوط في حياة سافلة لاستهوائها وافتانها بالمفاسد وما يتسرب إليها من مغريات الملاذ المادية وسواء علم الناس التعليم الديني أو لم يعنوه فمن الثابت أن الخرافات تقوى بضعف الأديان ولقمة العناية يفسد الدين ولكنه لا يضره فالتواجب تلقين الطفل لباب الدين لا الحشو ولا النغور لشب على المعقول والتثبت بأذيال الجوهر بعيداً عن التعصب وصغر العقل فقد قال فكتور هوغو: إن ما يخفف الألم ويفرس التقوى والقوة والعقل والصبر

والطهر والحرية في الإنسان هو أن ينظر عنى الدوام عنى عالم أحسن مما هو فيه ينسج من خلال ظننات هذه الحياة.